عشتار

رواية

اسم الكتاب: عشتار
اسم المؤلف: أسماء يماني
التصنيف: رواية
الحجم: 14 - 20
عدد الصفحات: 160
سنة الإصدر: 2024
رقم الإيداع: 27663 / 2024
الترقيم الدولي: 978 - 977 – 971 – 024 – 2
تدقيق لغوي: د. هبة ماردين
تصميم غلاف: أسماء يماني
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

الناشر
ديوان العرب للنشر والتوزيع

إميلات الدار
dewanalarabegypt@gmail.com
dewanelarab1978@gmail.com

عشتار

رواية

أسماء يماني

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

إهداء

إلى توءم روّحي الساعية خلف حلمي دومًا، فلا تكلّ ولا تملّ من محولاتها لمساندتي في كل مراحل حياتي، فإذا تغلغل اليأس بداخلي كانت اليد التي تتشلني لتخرجني لاستكمال حلمي المستدام (أمي) أنت النور الذي ينير عتمتي.

وإلى الروح التي غادرتني لعالم البرزخ أبي أعلم أنك معي تشاهدني وتدعمني بداخلك فكل ما توصلت إليه كان بسبب دعمك لي ودعواتك.

إلى أخي العزيز (أنس) سندي الذي لا يكل، أتمنى لك حياة رغيدة أنت وزوجتك الجميلة (مي علي) التي كانت سبب ابتهاجي ومساعدتي، أتمنى لك السعادة الدؤوبة لك ولأطفالك الغاليين.

إلى صديقتي العزيزة رفيقة دربي التي كانت وستظل داعمة لي، وتشجيعي لظهور الرواية للنور مرة أخرى (شيرين رضا)

إلى مشجعي وأستاذي دكتور محمد وجيه شكرًا لما قدمت لي.

أسماء يماني

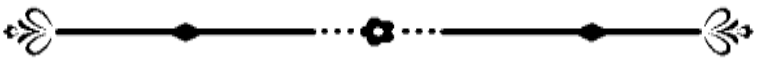

- قلت لها مغضبًا: لماذا تميل النسلء إلى الرجال الأوغاد الذين لا يوحون بأي ثقة؟

- قالت في برودٍ: مثلما تنجذبون معشر الرجال إلى الفتيات المائعات اللاتي لا يعرفن كيف يرعين طفلًا أو يحفظن بيتًا.

أحمد خالد توفيق

المقدمة

لقد عوقبنا على أفعالنا وسنظل هكذا إلى الأبد، إلى أن يُقضى على لعتنا الأبديّة، وأفعالنا المشينة التي لم يكترث بها قادةُ القبائل المزعومة؛ فهم لا يفقهون شيئًا سوى مصالحهم الملعونة، وكيف يسفكون الدماء على أرضهم؟ فهكذا كنّا وسنكون حتّى قيام الساعة إذا لم تظهر المخلصة التي ستهزم وتكسر شوكة الشرّ بداخلهم...

التي تنتقل برعونةٍ بين الأزمنة، كأنّها إبرةٌ آليةٌ تُحيكُ قطعتين من القماش... فهي تنتظر اللحظة المناسبة لتتربّص بفريستها، لكي تقتصّ ممَن خانوا العهد...

لٰكن كيف ينتهي الشرُّ من ضباب الجهلِ الّذي يغشى مُقل أعينهم المتباهية بانتصاراتهم المزعومة، فهم ليسوا سوى عبيدٍ لشهواتهم وطمعهم المتزاحم، كأنّهم في سباقٍ، لكنّه سباقٌ لجحيمهم، ولم يدركوا مقدار الكارثة التي ستحلُّ عليهم..

لأنّه سيأتي يومٌ ستتبدّل الأدوار، وينزاح الستار على أكبر حقيقةٍ لم يدركوها وهي القوّة الخفيّة التي استهان بها من قبائلهم.

****

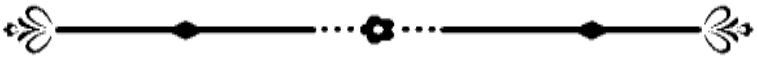

(1) (الكابوس المزعج)

انتشرت أحزان الماضي كدخان بكافة هزائمه، لا أشعر سوى بمرارةٍ في حلقي أحارب فراغاً وأهوالاً، لا أتذكر منها سوى صورٍ مموهةٍ، أغمض عينيّ يتنابني شعور بالرهبة ورعشة تسير في جسدي محملقة مقلة عينيّ من هول ما رأيت كأنّني انتقلت لمكان آخر مظلم يحيطه الضباب، لم أرَ منه سوى خيالات وشخوص تأتي إليّ مسرعة تمتطي فرسًا، وتعبر بداخلي بهوادة، كأنّني أنا الضباب الذي ينتشر في الأجواء، فانتابتني غصة في قلبي، فوضعت أناملي عليه، فكانت دماء تنهمر كشلال لا يتوقف وخنجر يشق قلبي.. فالتفتُ للخلف فرأيت ملثماً له عينان حادتان كالصقر تحملان حقدًا متوارثًا.. ثمّ تبخّر الملثم مثلما فعلت، عندما أفقتُ على صوت رنة هاتفي لتنتشلني من كابوسي المعتاد، لكنّ الغصة في قلبي ما زالت تؤلمني، ما أسوأ هذا الكابوس الذي يزداد ألمه كلما أفقت منه! وتكراره المباغت الذي أصبح ضيفاً ثقيلاً يجثم على صدري...

انتشلت هاتفي لأرى أنّه صديقي طارق الذي ينبهني أنّه حان وقت الضجيج والعمل في الجريدة التي يرأسها مديرنا المتسلط..

نعم هكذا أسميه..

ها أنا سيرين نور الدين، صحافية في جريدةٍ إخباريةٍ، ومؤلفة عما وراء الطبيعة والميتافيزيقيا، وأقدم على عمل أبحاثٍ مدققة وصحيحة؛ لكي تكون هناك مصداقية في الأعمال التي أقدمها أو أنشرها في الجريدة، لكن كل شيء تغيّر وأصبح كابوسًا أغفو وأصحو على أشياء مزعجة، وذلك عندما أقدمت على تدوين روايتي الجديدة؛ بالإضافة إلى الخيالات التي أشعر بها وأصبحت تلازمني، لكن لا أحد يصدقني، فالأشخاص من حولي يتفوهون على أنّه وهمٌ لا صحة له، أو أنّني تأثرت بأحداث كتاباتي، وكان هذا رأي رفيق دربي طارق الذي يعمل معي في الصحيفة.

وينبهر دومًا بالميتافزيقيا التي أدونها، كان يردد لي قائلاً: يومًا ما ستصبحين خارقةً عن الطبيعة، مثل رواياتك، ويقهقه في سذاجةٍ لأنّ الأمر كان عبثًا وغريبًا بالنسبة له؛ فهو شخصٌ ساذجٌ، طيب القلب تتملكه الرهبة من الأشياء المخيفة والغريبة، رغم ذلك كان داعمًا لي في حياتي، ودائمًا يتساءل ما الجديد الذي سأقدمه؟ وأنّني يجب أن أستكمل ما بدأت في أعمالي ولا أتوقف، لأنّه يعلم مدى شغفي المريب بالغرائبيات، لكن بداخلي صراعات مبهمة حول أشياء سوف تحدث لي ستغير مجرى حياتي للأبد.

....

في الجريدة والأجواء متوترة وأقدم عليّ طارق قائلًا:

- ما زلتِ لم تنتهي من كتابة قصتكِ، المدير يسأل عنك يا سيرين.

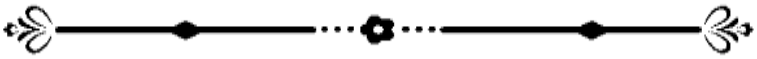

- لقد أوشكت على الانتهاء، لا تتمهل أبدًا أنت ومديرك تريدان الأشياء مثل ضغطة زر.

- يا ويلي لمَ تُدخليني في منغاشاتك مع مديرك الكئيب؟!

- اذهب إليه وقل إنني اقتربت على الانتهاء.

- آسف سيدتي الجميلة، إنه يريدك أنت شخصيًا، لكن قبل ذهابك أريد أن أعرف نوع الرواية التي تدونينها الآن؟ وهل لها صلة بفانتازيا الواقع مثل حكاياتك السابقة؟

رمقته مبتسمةً محدثةً له:

- أنا يا طارق، أسرد أشياءَ من الواقع الخيالي التي حدثت بالفعل في أزمنةٍ بعيدةٍ، وصارعت حضارات كثيرة ولم يتكلم عنها أحد، ولا أحد يصدقها مثل ما حدث في مملكة آشور، وكيف اختفت وانتهت من قديم الأزل والسبب مبهم؟

- ماذا حدث؟ أنا متشوق لمعرفتها لم تقصي بعض التفاصيل لي كالعادة.

- ستقرؤها بنفسك، لكن ينقصها بعض التفاصيل، وسيرسل لي أشخاص تحدثت معهم عن معلوماتٍ؛ لكي تكتمل مصداقية الرواية وعندما تنتهي أريد رأيك وتقييمك.

- حقًا متى ستنتهين منها؛ أريد الاطلاع عليها لكن لِمَ ترسلين أحدًا لأجل معلوماتٍ عن رواية، أنت تتحدثين هنا عن حضاراتٍ قديمة يسهل

البحث إلكترونيًا أو كتبًا مرجعية، ماذا سيفيدك أشخاص بحضاراتٍ دمرت من قديم الأزل؟

- لأنها تحمل أسرارًا لا يذكرها التاريخ، وأبحاثًا غامضة ليست من فعل بشري، وأحداثًا قد تغير مجرى التاريخ.

- ما هذا الهراء الذي تتحدثين عنه؟

- سوف تفهم كل شيء لا تتعجل يا صديقي، ابتعد الآن من هنا أريد أن أرى مديرك الغليظ.

ودلفت إلى غرفة المكتب للمدير مدحت رئيس تحرير الجريدة، الذي يجلس على مكتبه ينفخ سيجارته ويتحدث بتجهمٍ، والشرّرُ يقدح من عينيه عن الأخبار التي لم آتِ له بها، وعن إهمالي لوظيفتي وتركيزي في روايتي الجديدة، وعن تأخيري في الحضور وحديث كثير كان يؤنبني به؛ بنبرةٍ حادةٍ كالعادة، فالتفتُ إليه وأشرت بسبابتي في وجهه وتحدثت بغضبٍ:

- كفى، لن أحتمل بعد الآن؛ أنا لم أقصر في شيءٍ، والرواية التي أكتب عنها هي حقيقة ستثبت وجود عالم خيالي حقيقي تلاشى منذ أزمنةٍ بعيدة، أنا لا أكتب من الفراغ، وأيضًا لا تنسَ أنّ اسمي هو من يأتي بإعلاناتٍ كثيرة لهذه الجريدة، ويجب أن تحسن أسلوبك معي؛ لكي لا أتركها وستخسر كثيرًا صدقني.

كنت أتحدث بنبرةٍ عاليةٍ، رمقني في حالة اللا مبالاة قائلًا:

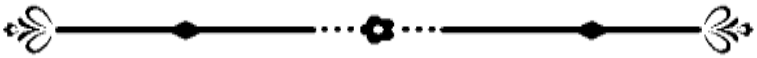

- ماذا تقولين؟! أنت من تأتين بالإعلانات واسمك هو الأهم هنا! إذًا لا تأتي لا أريدك، اكتفي باسمك في مكانٍ آخر.

كان يتكلم بنبرة سخرية.

رمقتة في ذهولٍ وقلت لنفسي: "يا ويلي! ماذا فعلت؟! لقد زدت في الحديث، لمَ قلت هذا الكلام والتفاخر بشيءٍ ليس صحيحًا؟ سوف أصبح مفلسة قريبًا ليس لدي عمل غيره! ".

فغيرت لهجتي إلى نبرةٍ أقل حدة، وبصوتٍ خافت وقلت:

- أنا أقصد أنّ عملائي كثيرون، لكن حضرتك أيضًا لك فضل في ذلك، أتعلم يوجد خبر سيأتي لي مساء اليوم عن شركة كبيرة تستورد أشياء مجهولة المصدر، لدي جاسوس هناك سيأتي لي بالمستجدات، وجريدتنا ستتصدر هذا الخبر.

- رائع، إذًا الخبر يكون غدًا في مكتبي، وإذا لم يأتِ فاستقالتك تكون بديلها. تفضلي الآن يا صحافية الموسم، وائتي بأشياء جديدة من إبداعاتك ولا تنسي الخبر مقابل استقالتك.

كنت في حالة من البلاهة، ماذا فعلت بنفسي؟! لمَ تفوهت بهذا الهراء؟! أنا لم أعلم أي شركاتٍ! لا أبحث عن شيءٍ! اندفاعي المتهور سيأتي لي بمصيبةٍ يومًا ما...

****

(2) كشف الخفايا

خرجتُ خارج الغرفة حزينة شاردة، لا أعلم مقدار الورطة التي دفست نفسي بها لكي أهرب من فكرة الفشل والفلس، تمسكت بأكذوبة ليس لها وجود، ثمّ قاطع أفكاري المتزاحمة طارق الذي أتى ليطمئن عليّ ويسأل هل أهانني؟ فحدثته بحزن لا، لكنّني وضعت نفسي في موقفٍ سيّئ؛ لقد حدد استقالتي مقابل خبر وهمي قلت له عن شركة تستورد أشياءَ ليست قانونية! تعجّب طارق من حديثي ورمقني بتجهمٍ، واتهمني أنني حمقاء ولا أفكر فيما أتفوه به؟!

فصحت به بصوتٍ عالٍ قائلة له: إنّني لا أعلم لقد اندفعت في الحديث بتهورٍ لكي لا أقدم استقالتي؛ ذكرت أنّ الصحيفة تمول إعلاناتها عن طريقي، وإنني التي أجذب العملاء!

ثمّ قهقه طارق في سخرية قائلاً:

- سيرين، أنت أتيت بإعلانٍ واحدٍ فقط بصعوبة، يا لك من إنسانة متهورة ومتكبرة!

- ليس وقت تأنيبك الآن، إنّني في ورطة بالفعل، إنّه يريد أخبارًا عن هذه الشركة في الغد أو ستكون استقالتي هي التي على مكتبه.

كان الوضع فوضى بالفعل، لكن طارق لم يقف ثابتًا، بل تحدّث أنّ لديه مخبرًا سريًا عن المؤسسات غير القانونية؛ وقال إنّ هناك شحنة مشكوك في أمرها، أتت إلى الميناء صباح اليوم، لكن ما تعجبت له المؤسسة التي تتعامل معه والمتعاقدة مع الشحنة! شركة (أدهم جروب.) لم أصدق! إنّها الشركة التي قدمت تحقيقًا صحفيًا ضددها لمخالفاتها القانونية لها، لكنّهم أيضًا قدموا مستندات لتبرئة اسمهم، وقدم لهم خبر اعتذارٍ في الجريدة، فقطعت حديثة.....

وكنت سأترك الوظيفة بسببهم!

ثمّ أكمل طارق الحديث قائلاً:

- تقصدين كان سيتم فصلك من الجريدة.

- نعم، لكن لن أكرر فعلتي مرة أخرى، والتورط معهم، فاستكمل حديثه أنّه يوجد حل آخر لإنهاء العائقة وعدم تورطي إلا بالدليل القاطع، هو أن نرى الشحنة ونصورها؛ لكي نثبت صحة هذه المعلومات، لم أتردد كثيرًا ووافقت على حديثه، لأنه الحل الأمثل لي لكي أحافظ على وظيفتي وأننا سوف نذهب مساء اليوم ونصور كل شيء، وسيكون خبر الموسم إذا صدق حديثه، واتفقنا أنه سينتظرني الساعة السابعة أسفل منزلي لنذهب معًا. فأكد على عدم التسرع وانتظاره قد يكون المكان هناك يحمل الكثير من المخاطر، لكنّني استرسلت في الحديث عن مكان الشحنة؟

فاستكمل حديثه قائلًا:

- إلى المخازن التي يشحنون فيها البضائع الخاصة بهم، انتظري سأرسل لك العنوان.

- تمام سأنتظرك، لكن لا تتأخر؛ وظيفتي على المحك.

- لا تقلقي، سأنتهي من مهامي وآتي إليك، الوداع الآن.

ودعت طارق وذهبت إلى منزلي؛ لكي أستريح لكنّ عقلي مشغول بروايتي وذهابي إلى الشركة؛ لأنّ استقالتي متوقفة عليه. وفجأة أتت رسالة إلى هاتفي بالبيانات التي أبحث عنها لقصتي الجديدة، ولكن ما أرسل لي كان غريبًا بعض الشيء؛ لأنّ المرسل أرسل ملفًا يحوي على معلومات خطيرة عن السيدة التي أبادت حضارة آشور، لكن الصورة ليست واضحة، لكن الواضح صور رجالٍ تتناثر الدماء من أعناقهم بهيئة مقززة، وأيضًا ورد في الملف كلمة خطيرة: (السيدة المتعطشة للدماء، الملكة التي تحولت بسبب معشوقها الخالد) نظرت في بلاهة وقلت:

- ما هذه التخاريف؟ أيعقل أنّها حقيقة؟! لكنّ المرسل أكد لي بصورٍ ومخطوطاتٍ قديمة، إذا كانت حقيقة فإذًا هي خالدة وعاشقها؟ هل يمكن أن تكون الصور مزيفة، لكن إذا كانت صحيحة هل يجب أن أبحث عنهم وأعرف حقيقتها وما حدث في الماضي؛ لأدونه في قصتي، يا ويلي سأحقق إنجازًا بها، فهتفت في ظفر وسعادة عارمة، لكنّني تذكرت ما يحوي عالمنا الافتراضي، وسقطت على أرض الواقع مرة أخرى لكي أصحو من المهاترات

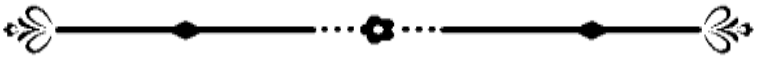

التي أحيط نفسي بها، وأنّه ليس أكثر من ذكاء اصطناعي يلهون به العقول، وأنّني لا يجب أن أصدق كل ما يرسل لي، وأنها مجرد فانتازيا من صنع البشر، كان عقلي يحمل تضادًا بين الخيال والواقع ولم أكترث للوقت، وإذ فجأة الساعة دقت السابعة، يجب أن أجهز سيأتي طارق في أي وقت. وبالفعل، حزمت أمتعتي وانتظرت حتى أتت الساعة الثامنة، لكنّه لم يأتِ فأمسكت الهاتف وتهاتفت معه، لكنّه لا يجيب، كثرة محاولاتي في الوصول له باءت بالفشل، أصبحت دون جدوى؛ فهاتفه مغلق. نظرت في الساعة التي على معصمي كانت الثامنة والنصف، فحدثت نفسي في تحدٍ:

- لا، سأذهب بمفردي، لن أحتاج إلى أحدٍ معي، يجب أن أحافظ على وظيفتي إنّها على المحك.

****

(3) مصنع الدم

انتحرت الحروف من سطح الأبجدية لتنسج عالمًا مميتًا، فغدوت هاربة بين خيالي المنسوج بالوهم والحقيقة المريبة التي أكتشفتها، وأصبحت تحيطني..
دلفت خارج المنزل، وأشرت لسيارةٍ بالوقوف، وذهبت إلى العنوان الذي أرسله لي طارق، وخلال سيري بالسيارة كان الطريقُ بعيدًا يطلُّ على صحراء متطرفة، فدبت الريبة بداخلي عندما توقفت العربة، كنتُ ألتفتُ يسارًا ويمينًا، لكنّ المكان لا يوحي بوجود حياة فيه، فخرجت من السيارة، سرت مسافة طويلة داخل ممر شبه مظلم، ثمّ صعدتُ على سلالم علوية أوصلتني لحيٍّ مهجورٍ في نهايته يوجد بناء يشبه المصنع أو المخزن لم أحدد هويته؛ بسبب ظلمته، وكانت بوابته كبيرة مصنوعة من الحديد، فأصبح من الصعب الدخول، لكنّني لمحتُ من بعيدٍ أناسًا يحملون صناديق لحفظ الأشياء المثلجة (آيس تانك) تملكني الفضول لمعرفة ما فحوها؟ واستغللت انشغالهم بدخول الصناديق، ودلفت في خفةٍ من خلفهم إلى المكان دون أن يراني أحد.
كان المصنع قديمًا يحيطه الظلام، وبه إضاءة طفيفة باللون الأحمر تنبض مثل قلب طفل رضيع مما زاد الرهبة بداخلي، وهناك حاجز شفاف من المشمع، كان المنظر مخيفًا حقًا، ومر على مسامعي صوتٌ يأتي من الخارج،

أسرعت بالدخول خلف الحاجز لكي لا يراني أحدٌ، فرأيت نفسي بداخل ثلاجة كبيرة لحفظ اللحوم المجمدة، وبها صندوق من الصناديق الصغيرة التي رأيتها في الخارج. اقتربت منها في فضولٍ لكي ألتقط بعض الصور لتساعدني في التحقيق ضدهم، وإذا الصدمة أنها أكياس من الدماء تسمرت في بلاهة، وقلت: إذًا الشحنة هي دماء لا يعقل! هل هم تجار أعضاء أم ماذا؟ وعلى حين غرة شعرت بأنفاسٍ خلفي تقترب بجانب أذني،

وتقول: هل علمت سرنا؟

وانتشل كيس الدماء من يدي، التفتُ للخلف لأرى أنه أدهم السنهوري صاحب الشركة!

واستكمل حديثة قائلًا:

- إذًا علمت نشاط شركتي السري، أتعلمين إذا علم شخص بوجودك هنا ماذا سيكون مصيرك؟ مثل أكياس الدماء التي في يدك.

ترددت في خوفٍ، لكنّ الشجاعة تملكتني وقلت:

- لا يفرق معي، لماذا تهابونني لهذه الدرجة؟ أم أنكم تهابون أن أفضح أمركم؟ لكن السؤال هنا ماذا تفعلون بكل هذه الدماء؟ هل أنتم تجار أعضاء؟

قهق في سخرية مستكملاً:

لا يا عزيزتي ليس كذلك، لكنّني أرى فضولك الذي يدون نهايتك بيدك.

سرت رعشة في جسدي وحملقت عيناي إليه بجمود وقوة وتحدثت إليه:

- هل تتهرب من السؤال؟ أم أخمن أنا؟

- أنت لا تتدركين موقفك الآن، لكنّني أحببت روح المغامرة والشجاعة التي تملكينها، وأريدك أن تخمني.

- هل هي من أجل ملك آشور؟ أم الملكة؟

لا أعلم لما قلت ذلك، وذكرت قصتي التي أدونها، وما علاقتها، وكأني شخص آخر يتحدث!

فرمقني بتجهمٍ والشرّرُ يقدح من عينيه، واقترب إليّ بضع خطوات أصبح لا يفصل بيننا شيء، وكانت رائحته تشبه المسك العتيق؛ أصابني دوران، وأمسكت رأسي بكفي لكي أقف، ثمّ استكمل حديثه:

- أرى أنك تعلمين أشياء كثيرة، وتجهلين خطورتها عليك يا جميلتي.

كنت أشعر أنّ شخصًا آخر يتحدث عني، والرؤية أصبحت مغيمة، لكنّني كنت أقاوم ذلك، وواجهته بثقةٍ في الحديث قائلة:

- نحن نحيا لكي نستكشف كلّ شيء؛ لأنّ الحياة ليس لها قيمة بدون إدراك شغفك الحقيقي، أنا لا أهابك، ومن أجل فضولي ومعرفتي وإثبات الحقائق أذهب لأبعد مدى.

- يا عزيزتي، أرى لأي مدى ستسلكين؛ ستكتبين طريق نهايتك.

كنت أشعر بالرهبة تجاهه، لكنّني لم أتوقع أنه سيتمادى أكثر من ذلك عندما أمسك معصمي بقوة، وسحبني خلفة بداخل غرفة مظلمة، وأغلق عليّ وقال:

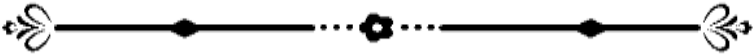

ستمكثين هنا حتى ننتهي.

الريبة تملكتني أصبح المكان مظلمًا ومخيفًا وباردًا، بدأت الغرفة تزيد برودتها والرؤية تنعدم، بسبب ظلمته، ثمّ اقتحم ضوء القمر خفية من نافذة صغيرة تكاد تُرى، لكنها كانت كفيلة بإنارة الغرفة وتوضيح معالمه، فظهرت مرآة طويلة تعلو الغرفة فسرت إليها ونظرت بتفحصٍ إلى معالم وجهي المبتسم ابتسامةً مريبة لا أعرف ماذا دهاني؟! وعلى حين غرة رأيت امرأة ذات شعرٍ أحمر ناري تشبهني كثيرًا، تقف خلفي وتنظر لي في المرآة وتبتسم لي أيضًا. تراجعت للخلف بصرخة مكتومة! والتفتُ لأنظر لكنّني لم أجد شيئًا، ورمقت بعينيّ لأتفحص الغرفة؛ فإذا بصوت خطوات تتحرك وتقترب مني في الظلام، ثمّ ظهرت هذه السيدة أمامي مباشرةً بفستانها الملكي من العصور القديمة وشعرها الأحمر الناري وبشرتها ناصعة البياض، اقتربت مني في بطءٍ شديدٍ ولامست خصلات شعري! فابتعدت عنها في رهبةٍ خطوتين للخلف، وقلت لها:

- من أنت؟ كيف تشبهينني هكذا؟

رمقتني بتجهمٍ، وأخرجت أنيابها، واتجهت إليّ كـالريح؛ فأغمضت عينيّ، ووقعت على الأرضية الباردة وجلست القرفصاء، وصحت بصوت عالٍ من الرهبة، فأخذ الصوت يدوي في جميع أرجاء الغرفة، ثمّ سمعت بابًا يكسر من الخارج، وأنا أصرخ مغمضة عينيّ، وشعرت بيدٍ تربت على رأسي، وأمسكت يدي وتقول:

-أفيقي يا سيرين، أنت بخير، افتحي عينيك، ماذا يحدث معك؟!

عندما أنصتُ إلى االصوت شعرت أنّني في حلمٍ مخيفٍ، لكنّه أتى في اللحظة الحاسمة كالنور الذي أتى ليكسر شوكة الظلام بداخلي، ويخرجني من عزلتي المخيفة كان صديقي طارق الذي أتى طوق نجاة لي لكن تغير معالم المكان، وأصبح به إنارة بالكامل، ولا يوجد أحد به، كنت في حالة يرثى بها ظللت أردد في هيستريا أين هي؟! أين اختفت؟! وأنت كيف أتيت؟ رأيتها صحيحاً كانت تريد التهامي!

نظر طارق لي في تعجب قائلًا:

- سيرين، ماذا دهاك أفيقي لا يوجد أحد هنا؟! لقد رأيتك وأنت تصعدين السيارة، وصحت عليك ورأيتني، لكن لم تبالي لأمري كنت خلفك مباشرةً، رأيتك تقفين بالسيارة هنا أمام منزل مهجور ودلفت إليه! قلقت عليك وذهبت خلفك وعندما سمعت صراخك أسرعت في كسر الباب، لكن لمَ دخلت إلى هذا المنزل المهجور؟

- ماذا تقول يا طارق؟! أنا لست بمنزل إنه مستودع خاص بشركة السنهوري، وأيضًا أنت من أرسلت لي العنوان، ولمَ تقول إنّني رأيتك وذهبت بالسيارة، أنا كنت أتصل بك لكن هاتفك كان مغلقًا!

- سيرين، أنا من كنت أتصل بك، لكن كنت تغلقين الخط في وجهي وهذا ليس العنوان الذي أرسلته إليك، ماذا يحدث لك؟ هل أنت بخير؟

رمقت طارق في خوفٍ وقلقٍ وتركته وذهبت مسرعةً؛ لكي أتفحص مكان الصناديق، لكن معالم المكان أصبحت مختلفة تمامًا؛ إنه يدل على منزلٍ وليس مستودعًا، وأيضًا لا يوجد أحد ولا صناديق! شعرت بدوارٍ وأقدم إليّ طارق وأمسكني وحدثني أنني يجب عليّ الذهاب للمنزل لكي أستريح من الهواجس التي بدأت تسيطر عليّ، ثم دلفتُ معه في السيارة التابعة له وأنا في سكونٍ، لكنّني كنت أقضم أظافري في توترٍ وأناملي ترتعش، والتفت تجاه نافذة السيارة وإذ بي أرى أدهم السنهوري ينظر لي ويبتسم؛ فصحت بهستريا: طارق، انظر إنه هو أدهم السنهوري في السيارة المجاورة لنا!

أصبت بحالة من التعجب عندما قال:

- إنّه ليس أدهم السنهوري؟ كيف لم تعرفيه وأنت قابلته من قبل؟!

ثمّ التفت إلى السيارة، لكن لم يكن هو، بل كان شخصًا آخر، ماذا يحدث معي؟

- يجب أن ترتاحي يا سيرين، الاستقالة والرواية مسيطرتان على عقلك.

تذكرت الرواية وتساءلت بعفوية:

- هل يوجد إنسان خالد يتغذى على الدماء؟

وفجأة طارق أوقف السيارة واستطرد:

- أنا خائف عليك حقًا، ما بك؟ هل محتوى الرواية أثر على عقلك فعلًا؟ ما هذه التخاريف والهلاوس؟

- أنا لا أهلوس، هذا حقيقي ورأيت ذلك في شركة أدهم السنهوري، فهي تتاجر في الدم، هذه هي الشحنة التي تحدثت عنها.

- عن أي تجارة دمٍ تتحدثين؟! أفيقي يا سيرين من هذه الهلاوس. قلت لك ليس هذا المكان المراد، وأيضًا لا يوجد أحد في المنزل.

قطعت حديثه قائلة:

والصور التي أتت إلى هاتفي من المرسل الذي سيأتي بمستجدات عن الرواية لم أصدق ما حدث لي والتقط طارق هاتفي، وأخذ يتفحصه، لكن لا دليل لوجود ما أتفوه به كأنه سراب، وتساءلت كيف ذلك؟! أنا رأيتها ورأيت مخطوطاتٍ قديمةً وخريطةً بالقصر الملكي، وأيضًا رجالًا ينزفون دماء من أعناقهم، هل كنت أحلم؟ أنا لم أصدق بالفعل يا طارق، لكنّها أُرسلت لي بالفعل!

واستكمل طارق حديثه: إنني بخيرٍ أحتاج إلى الراحة فقط، وأنه سيهتم بأمر استقالتي وسيتفاهم مع المدير. وصلنا المنزل وكان طارق يشعر بالقلق، بسبب الهذيان الذي أصابني فحدثني أنه لن يتركني، وسيهاتفني لكي يطمئن عليّ، شكرته على موقفه، وحدثته أنني بالفعل أحتاج إلى الراحة، لكي أصحو من شعور الهذيان والقلق ومن الأشياء المريبة التي بدأت تتسرب داخل عقلي، وتساءلت: هل كل ما يحدث حقيقة؟ أم وهم مثلما قال طارق، احتلت أشياء مبهمة تفكيري وحياتي أيضًا لا أعرف تفسيرها، وعن وظيفة أدهم وتجارته غير المشروعة؟!

ودلفت داخل المنزل وهاتفت طارق؛ لكي أخبره بأنني بخير، وتحركت إلى غرفتي، وألقيت نفسي على السرير لكي أريح فكري وجسدي، وأغمضت عينيّ في استرخاءٍ، وعلى حين غرة سمعت صوتًا يقول:

- أخيرًا أتيت؛ لقد انتظرتك كثيرًا.

اعتدلت في جلستي بفزعٍ لأنظر، إنه أدهم السنهوري يجلس على المقعد المقابل للسرير، ويحملق لي في انتصار وسعادة كأنني إنجاز حققة، لكنني كنت في حالةٍ من البلاهة وعدم الاستيعاب من ظهوره المفاجئ، ثمّ توجهت إليه وحدثته بصوت عالٍ؛ هل ما رأيته حقيقي؟!

رمقني بابتسامةٍ ساخرةٍ واقترب بضع خطوات حتى أصبح وجهه مقابلًا لي، لكن لا أعلم لما قربه الزائد أصابني بالتوتر والخجل، وكست الحمرة وجنتيّ، لكنه قاطع صراعي مع نفسي ورفضي وخجلي قائلاً:

- أتشكين فيما يحدث؟ أو تريدين إثباته من أجل وظيفتك وروايتك؟

- كيف علمت عن وظيفتي وروايتي؟ ولم تغير المكان في لمح البصر! أنا دلفت داخل المخزن وعند خروجي كان منزلًا!

- أعجبتك الخدعة، إنها مجرد خدعة بصرية ألم تسمعي عنها؟ مثل الساحر الذي أراد أن يري جمهوره شيئًا وهو يفعل شيئًا آخر ويثبته، والجمهور يصدق ويصفق في بلاهة، ولا يعلمون مقدار الكارثة التي تحل عليهم مثل التنويم المغناطيسي؛ لكي يخضعهم ليروا ما يريده هو فقط ليكونوا مثل

البيدق في يديه مثلما فعلت، وأنا الذي بعثت لك الرسالة عن المخطوطة والخريطة.

- من أنت؟ وما هي حقيقتك؟! ولمَ اخترتني أنا؟!

- أنا لم أخترِكِ، أنتِ من اخترتني وبحثت لكي تعرفي أسرار الماضي المدفون من قديم الأزل، والآن ستدفعين ثمن فضولك!

ثمّ اقترب أكثر إليّ مائلًا تجاه أذني وقال:

- ستعيشين في ظلام دامس، من الآن سترين أشياء من الماضي الأليم، ستقحمين في عالمٍ يملؤه الدم والقتل، ولن تستطيعي التفوه بشيءٍ، ولن يصدقك أحد، ولن تنالي سوى الأذى أفهمت يا جميلتي؟

أصبت بـحالة من عدم الاستيعاب بحديثه المريب، وبدأت أميل للخلف بجسدٍ مرتعشٍ، وارتعدت أوصالي، ثمّ اختفى المدعو أدهم وإضاءة المنزل أُطفئت، ثمّ خارت قواي وفقدت الوعي غرقت في نوم عميق كأنني لم أغفُ من قبل...

أفقت في صباح اليوم التالي على شعاع الشمس يقتحم الغرفة؛ ليعلن بداية يوم جديد وعذاب جديد لي أيضًا، وتساءلت هل ما مررتُ به حلم؟ وتحركت من السرير للجانب الآخر تجاه المرآة، ورأيت كلامًا مكتوبًا عليها باللون القرموزي أنّه حقيقي وليس بحلمٍ، ورجعت بضع خطواتٍ للخلف، رأيت هيئتي وكنتُ بالرداء نفسه الذي خرجت به ليلة أمس، خفت كثيرًا وأخذت حقيبة يدي وخرجت من المنزل مسرعةً إلى الصحيفة، كنت

أركض بين الشخوص فاقدة العقل والهوية، أتلفت يمينًا ويسارًا؛ أرى أناسًا يحدقون لي في سخريةٍ، وآخرين وجوهم مموهة تتربصني عن قصدٍ تسير خلفي! وأشرت لسيارةٍ لتقف بي أمام الجريدة، ودلفت مسرعةً إليها واصطدمت في طارق أثناء دخولي، ونظر لي في فزعٍ قائلًا:

- ماذا بك يا سيرين، لما هيئتك مبعثرة هكذا؟ وسواد الكحل يملأ عينك وشعرك ليس مهندمًا، هل خرجت من البيت بعد توصيلي لك؟

- طارق، أنا خائفة؛ أحداث مخيفة تحدث معي أنا لم أخرج من المنزل، لقد أتى هو إلى منزلي وهددني، وأيضًا رأيت دماءً على مرآة بيتي، إنهم يترقبونني وسيقتلونني لأنني علمت بسرهم.

- تريثي يا سرين، أرجوك أفيقي من وهمك، أنا خائفٌ عليك حقًا فإنّ حالتك تزداد سوءًا؛ يجب أن تذهبي للمنزل لكي تهدأ أعصابك.

- لا، أنا خائفة حقًا من الذهاب؛ هم يعرفون منزلي وسيأتون لقتلي!

- لا تخافي، سأذهب معك لن أسمح أن يصيبك ضرر.

****

(4) الملكة الآشورية

الخوف، الرهبة، عدم الأمان، شعور سيّئ عندما تشعر بأنك مطاردٌ طيلة الوقت من أشياء خارجة عن الطبيعة، والأسوأ عندما لا يصدقك أحدٌ بما تمر به، وتجثو وحيدًا لا سند لك، وتهرول هاربًا من واقعك المؤلم، وتفكر في حججٍ واهية لكي تفرّ منه، لكن دون جدوى، فيصل بك الأمر أنك تكذب نفسك من أجل راحة بالك، لكن لن يفيد بشيء سوى انعدام الثقة، فهم لن يتركوك بل سيظهرون بصورةٍ أوضح لكن مع المواجهة سيقل خوفك، وسيمحى عندما تواجه كل ما تهابه بقلبٍ قويّ؛ لتستطيع أن تمحو هذه المثبطات التي تعكر صفو حياتك...

ذهبنا إلى المنزل أنا وطارق، وفتحت الباب في عدم اتزانٍ وقلقٍ، ثمّ تقدم طارق قبلي وبحث في المنزل بأكمله ودلف إلى غرفتي وأنا خلفه، لكن المفاجأة أنه لم يرَ أي شيءٍ على المرآة أو أي آثارٍ للون المكتوب كأنّ شيئًا لم يكن! واقترب إليّ في هدوءٍ قائلًا:

- المنزل ليس به شيء لا تخافي وارتاحي قليلًا، وأنا معك لن أتركك أبدًا سأذهب وأقدم لك طلب إجازة لترتاحي قليلًا.

نظرت له بعينٍ دامعة شعرت أنّه ينظر إليّ كأنني مختلة عقليًا فصحت في وجهه بحدّة:

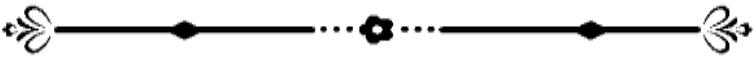

- لا أريد ذلك!

- اهدئي... سأكون بجوارك لن أتركك، لكن يجب أن تهدئي وأعدك أنني سأبحث في قضية أدهم لن أتركه، لا تقلقي ارتاحي الآن وسآتي إليك في الغد، سوف أهاتفك كل دقيقة أنا معك.

حديث طارق بعث في نفسي الطمأنينة وتركني وذهب على الرغم رفضي الابتعاد عن عملي، لكنّه الحل للاسترخاء والتحقق فيما يدور حولي، فحدثت نفسي أنّني يجب أن أفيق من الهواجس التي تحيطني، ودخلت لكي أغتسل وأنظف الفوضى التي أصبحت فيها، وخرجت لكي أحضر كوبًا من القهوة ليساعدني في تهدئة وضعي السائر، وأقدمت على فتح جهاز الحاسوب لكي أكمل كتابة الرواية. كنت منسجمةً ومتحمسةً لأسرد الأشياء التي حدثت معي ضمن إطار الرواية، لكن ما لفت انتباهي لون السماء من النافذة التي أمامي، لقد صُبغت باللون الأزرق يميل للأرجواني، كأنّه يتحضر لقدوم كارثة قادمة، وعلى حين غرة أغلقت شاشة جهاز الحاسوب وظهرت الملكة المريبة بشعرها الناري الذي تهتز لها الأبدان، وقالت بصوتٍ عالٍ:

- لا تدوني ذلك؛ سيتسبب في قتلك يا حمقاء.

دفعت الجهاز بعيدًا وقفزت مسرعةً من المقعد وبجسدٍ مرتعدٍ وقلت:

- كيف ذلك؟! كيف تكونين حقيقية؟

ثم أتى صوتٌ من خلفي يقترب من أذني قائلًا:

لأنني فعلًا حقيقية يا سيرين، لا تخافي.

فالتفت للخلف ببطء شديد وبأوصال مرتجفة وعدم تصديقٍ مما رأيت من هيئتها، بفستانها الملكي وشعرها الطويل الأحمر الناري، والأسوأ أنّها تشبهني كثيرًا، بل نسخة مختلفة؛ فتحدثت لها بتلعثم وتردد في الحديث، لقد رأيتك في المخزن المهجور كنت تهجمين عليّ.

- لا أنا لن أستطيع أذيتك لا تخافي، كل ذلك حقيقة أنا تالين بطلة حكايتك، لكن أنا حقيقية ولست خيالًا كما تظنين.

- أيعقل أن تكوني الملكة الخالدة المتعطشة للدماء؟ لكن لِمَ أنت هنا؟

- لا أنا لست متعطشةً للدماء، أنا ملكة خالدة ضائعة في الحياة، صارعت أزمنةً عديدةً، وحاربت الشر الذي يسعى للانتشار، وأنا هنا للبحث عنه.

- من هو؟ أنا لم أفهم شيئًا التاريخ يذكر غير ذلك.

رمقتني في حزن واستكملت قائلة:

سأقص لك كل شيء، كنت أميرة تخطف القلوب، لكن ما حدث معي غيّر مجرى حياتي؛ أصبحت إنسانةً خالدةً أهاب النور وأعيش في الظلام! لا ذنب لي فيما حدث لكن جرمي الوحيد أنني أحببت شخصًا ليس من عالمي، شخصًا يعيش في الظلام لكن علمت متأخرًا ما هي حقيقته...

أنا تالين، أميرة المملكة الآشورية سابقًا والرافدين بعد ذلك، وهي من أقدم الممالك القديمة على الأرض، عشت في أزمنةٍ بعيدةٍ، وخضت حروبًا كثيرة مع أبي، كنت الابنة الوحيدة، والملكة المستقبلية، لكن طمع الجميع في

العرش أدى إلى طمع كل فرسان عصرنا والملوك في التقرب والزواج مني، وكنت أرفض كل من يتقرب لي بسبب طمعهم في الحكم وليس حبًا لي، لكن أبي غضب من إصراري على رفض الأمراء والملوك الذين جاؤوا للتقدم لي، وكان يريد تزويجي في أقرب وقت. رفضت بشدة وتركت المملكة وامتطيت فرسًا وذهبت بعيدًا عن المملكة، لا أعرف أين لكن غضبي من أبي، وإصراره وفرض رأيه عليّ ملأ قلبي بالغضب والكره، وأسرعت بعيدًا، ثمّ توقفت في مكانٍ ما في الناحية الشرقية من المملكة.

- لمَ صمت؟ أكملي ماذا حدث؟

- لقد قابلته، لا أعلم أكان من سوء حظي أم من حسن حظي؟ لكنه هو الذي أحببته من كل قلبي.

- من هو يا تالين؟ أكملي.

- ليس الآن، إنه يقترب يجب أن أهرب، لكن لا تقولي لأحدٍ عني وأنك رأيتني؛ لأن حياتك أنت ستكون في خطر، الوداع الآن..

تركتني تالين في حالةٍ من التخبط والضياع ماذا يحدث؟ وكيف تأتي وتختفي من تلقاء نفسها؟ هل هي شبح من الماضي أم حقيقة تسعى للانتقام! وقطع شرودي صوت الهاتف يرن وكان طارق يطمئن على حالتي، ويحدثني إنّه قابل المدير وقدم طلب عطلة من وظيفتي للراحة والاسترخاء، وأنّه يحقق أيضًا في شركة أدهم، وعندما يصل لشيء سيبلغني، ثمّ أغلقت الخط معه، كان حديثه يحمل بين طياته أملاً فشعرت بطمأنينة، ثمّ مرّ على مسامعي صوت

خشخشة يأتي من المطبخ! دلفت للداخل ببطء فرأيت باب الثلاجة مفتوحًا على مصراعيه والطعام متناثرًا على الأرضية، وصوت التهام طعام عالٍ، أحسستُ أنّ الأرض تميد حولي، لكنني تمالكت نفسي وتحركت خلف الصوت، فإذا خيال مظلم يقف في الظلام بجانب شرفة البيت؛ فأمكست الهاتف وأضأت النور فرأيت كائنًا مخيفًا يمسك في يده قطعة من اللحم النيِّئ بدمها ويلتهمها بصورةٍ مقززة! تسمّرت بمكاني لم أستطع التحرك واتسعت شدقاي من هول ما رأيت، ثم وقع الهاتف من يدي وأُطفئ، فـشعرت أنّه يسرع ويقترب إليّ، وأحسست بأنفاسه المقززة الساخنة قريبة من وجهي، لا يفصلني عنه سوى مسافة سنتيمترات، ويقترب باتجاهي ويشم رائحتي ويتلمس شعري، وأنا ثابتة من الرهبة لم أستطع التنفس لقد طمس على أذني وبصري من هول الصدمة، ثمّ أشعل النور وفتحت عينيّ كان قد اختفى! بحثت في المنزل بأكمله دون أثر ما هذا المخلوق؟! أسرعت إلى غرفتي وأقفلت الباب جيدًا، وجلست على السرير في وضعية القرفصاء بعينٍ مشدوهة أحتضن نفسي أطمئنها على ما أصابها، كنت أبكي في صمت، فأصبحت ناسكة زاهدة في عالمي المخيف،ولم أنم حتى شروق الشمس، امتلأ قلبي بشجاعة والمواجهة مما يصير معي، فتوقفت وقلت: كفى يجب أن أنهي كل ذلك، وارتديت ملابسي وخرجت من عزلتي، إلى شركة أدهم السنهوري ودلفت إليها باتجاه مكتبه، لكن استوقفتني السكرتيرة ودفعتها بعيدًا وحدثتها بعنف: إنني سأدخل الآن، بصوتٍ عالٍ ووجهٍ متجهم دلفت

إلى غرفته، لكن المفأجاة التي لم أكن أتوقعها كان طارق معه في المكتب، يجلس على المقعد المواجه له يتسايران معًا، وعندما رآني قال والصدمة تحتل معالم وجه من خذلانه لي:

- سيرين، ماذا تفعلين هنا؟

- ماذا تفعل أنت بعد كل ما حدث معي وقلته لك؟

- تريثي يا سيرين، لا تفهمي خطأ؛ أنا أتيت من أجل الجريدة؛ إنها تريد أن أقدم لقاءً صحفيًا معه وعن قصة كفاحه.

ثمّ تقدّم طارق باتجاهي وبصوتٍ خافت قال:

- ومن أجلك أيضًا؛ لكي أعرف الحقيقة.

نظرت له في حالة من اللا مبالاة وقلت:

- هل انتهيت؟ تفضل أريد التحدث معه بمفردنا، وسوف أعالج جميع العوائق التي تلازمني بنفسي. لا تقلق عليّ.

كنت أرمق طارق بحدةٍ وغضبٍ، وبالفعل خرج وتركنا، وتقدمت باتجاه أدهم بشكلٍ متقارب وكان لا يفصل بينا سوى بضع خطوات، وقلت له:

- ماذا تريد؟ أكل هذا من أجل كشف حقيقتكم؟ أم شيء آخر؟ لمَ ترسل لي جاسوسك المتحول لكي يخيفني؟

- ماذا تقولين؟! أنا لم أرسل أحدًا، وأيضًا أنا أهدد في الوجه ليس في الخفاء، وأرسل كلابًا جائعة لتخيفك، لكن انتظري إذا فعلًا حدث ذلك؛ فهذا يدل أنهم أيقنوا أنك تعلمين حقيقتهم وتشبهينها!

- تقصد تالين، وكيف علمت أنني أشبهها؟

- أنا أعلم كل شيء عنها، هل ظهرت لك؟ تحدثي.

حديثه كان مريبًا، لكنني لابد أن أقص له ما حدث ليعلم حقيقة ما يدور حولي، لكنني لن أحدثه عن الحوار الذي دار بيننا، فأجابته أنها ظهرت واختفت في لحظاتٍ معدودة فقط، وعلمت مدى التشابه بيننا...

- هل قالت لكِ شيئًا؟

- لا، ماذا تقصد؟ وماذا ستقول لي؟

- لأنك مثلما قلت تشبهينها، وأيضًا كنت تبحثين عنها من أجل روايتك، لكن لا تخافي لن تسبب لك الأذى، ونحن أيضًا لن نسبب لك الأذى، لكن بشرط ألّا تبحثي عن شيءٍ أو تكتبي عنها، واكتفي بقصصك ومقالاتك بالجريدة، انتهت المقابلة تفضلي بالخروج.

- هل تهددني؟

- لا، أنا أقدم لك فرصة أخيرة لنجاتك، وأن تعيشي حياة سعيدة بعيدًا عن عالم الميتافيزيقا، هذه الفرصة لن تكرر مرة أخرى فقط بعد ذلك سيكون موتك.

اقتربت إليه وقلت:

- هل أنت مثلهم متعطشٌ للدماء؟ أم أنك مجرد خادم لهم تستورد غذاءهم؟

تغيرت ملامح وجهه بسبب حديثي المفاجئ له، واقترب إليّ ودفعني بجانب الجدار، وأصبح في وضعية متقاربة إليّ، ثمّ وجه أنامله على وجهي واستطرد:

- أنت هنا في قبضة يدي، إذا أردت في لحظات معدودة سأدق عنقك وتصبحين في عالم آخر يا جميلتي أفهمت؟ فضولك سيقتلك يومًا ما.

ثمّ دخل طارق على هذا المشهد، ودفع أدهم بعيدًا عني وأمسك معصمي وحدثه في تجهم قائلًا:

- إذا رأيتك تقترب منها أو تحاول أن تؤذيها فنهايتك ستكون على يدي، ولا تقلل من شأني أفهمت؟ ابتعد عنها.

ثمّ أمسك طارق يدي ودلفنا لخارج الشركة الملعونة وقال:

- لا أريد رؤيتك تقتربين من هذه الشركة، يجب أن تسافري من هنا، رأيتهما شخوصًا ليسوا هينين، وأيضًا مع الأحداث التي تحدث معك لا يجب أن تجلسي بمفردك.

- لكن أنا لا أهابهم، يجب أن أفضح مؤامراتهم وسرهم أمام العالم.

- سيرين، أفيقي انظري من هم ومن نحن؛ تعلمين أنّ الجريدة اليوم ستكتب عمودًا كاملًا باسمهم؛ لتمدح في أعمالهم ومساهمتهم في حل أزمات البلاد، نحن لن نستطيع التكلم عنهم أو فضح أعمالهم، وأيضًا أدهم وضعك في رأسه ولن يتركك، أنا خائفٌ عليك يجب أن تهربي حتى تهدأ الأوضاع، ويتأكد أدهم أنك لن تجلجلي كيانه أو اسمه في البلاد.

- حديثك صحيح، أنا لن أستطيع الوقوف ضده بمفردي، وأيضًا تحدث أشياء مريبة في المنزل، أنا خائفة حقًا من دخوله مرة أخرى.

- سآتي معك الآن لكي تقومي بتجهيز حقيبتك وسأوصلك لمحطة القطار؛ لكي أطمئن على ذهابك من هنا.

- شكرًا يا صديقي على وقوفك بجانبي.

- أتشكين في ذلك؟ ألا تعلمين مشاعري تجاهك؟ أم أنك ستتصنعين الجهل؟

- لا، لن أتصنع أنت صديقي الذي يدعمني دائمًا، ولن يتركني في وقت احتياجي له، لكن أعطِ لي فرصة لأتقبلك مثلما تريدني أن أراك، ولا تنسَ أنت في منزلة أخي وصديقي أيضًا، أقسم لك خلال سفري سآتي لك بمشاعر أخرى..

نظر طارق إليّ في سعادة قائلًا:

- وأنا سأنتظرك طيلة العمر يا صديقتي الحبيبة، أحبّك وسأحبّك طيلة حياتي.

كنت في غاية السعادة من سماعي لحديث طارق؛ ليس لأنني علمت بمشاعره، بل لأنّني علمتها من قبل وكنت أتجاهلها لكي لا أخسره؛ لأنني شعرت أنه يقف بجواري ويدعمني ويحميني وأيضًا للوهلة الأولى أراه بشكلٍ آخر.

وتحركنا أنا وطارق إلى منزلي وأحضرت حقيبتي وكل ما أحتاجه وجهاز الحاسوب الخاص بي، ثم دلفنا للخارج وتحركنا بالسيارة حتى وصلنا لمحطة القطار، ولازمني إلى القطار لمكان الكابينة الخاصة بي ووضع الحقائب وقال:

- تهاتفي معي في الطريق عند وصولك؛ لكي لا أقلق عليك يا محبوبتي.
- لا تقلق سأتهاتف معك حتى تمل مني، اذهب الآن القطار أعلن عن تحركه.

خرج طارق بصعوبةٍ لم يرد تركي والقطار كان يتحرك وهو يقفز منه، كنت أضحك في بلاهة من تصرفاته الطفولية، وكان يشير لي من نافذة القطار، ويرسل لي قبلاتٍ طائرةً ويبتسم ويشير بيده أنني يجب أن أهاتفه. كنت في غاية السعادة وقلت حديث طارق صحيح في فكرة الابتعاد من هنا، وجلست على المقعد في أريحية، وفجأة رأيت ظلَّ تالين يمر مسرعًا بجواري! نظرت في ريبة، وذهبت خلفها لكن لم أعد أرى شيئًا في ممر القطار، والتفت بجانب اليسار رأيت رجلين مريبيّ الشكل ينظران إليّ بترقبٍ شديدٍ؛ سرت في جسدي قشعريرة وهرولت إلى مكاني، لكن لم أجدها إنّها اختفت بالفعل! ثمّ رأيت الرجلين خلفي تركت المكان وسرت مسرعةً، وفتحت الباب الفاصل بين مقصورات القطار وأغلقته جيدًا خلفي، وتحركت للمقصورة الأخرى ووصلت للنهاية، وفتحت مقبض الباب التالي؛ وكان عبارة عن بهوٍ صغيرٍ وبه باب للنزول من القطار.

التفت حولي وخلفي فإذا بالمراقبين يفتحون المقصورة الأولى ويتقدمون إليّ. انقبض قلبي لكن ظهرت فجأة تالين وقالت:

- يجب أن تقفزي من هنا سيتم قتلك.
- أجننت! سوف أموت إذا قفزت، وأنت لِمَ تظهرين لي وما قصتك؟!

- سوف تعرفين كلّ شيءٍ، لكن يجب أن تفتحي باب القطار وتقفزي، لا تقلقي لن تموتي لأنّك ستأتين معي!

- أين سأذهب معك؟

- ستذهبين لمعرفة الحقيقة، في رحلة إلى الماضي القديم سترين الأحداث بعينك، وستحكمين؛ في ذكريات الماضي، وستشاهدين وستكتشفين كلّ الحقائق. اقتربي ولا تخافي أمسكي بيدي ولا تتركيها؛ حتى لا تصابي بالأذى.

- كيف أقفز وأرى ذكرياتك أو ماضيك، هل سأقفز عبر الزمن؟

- نعم، ستقفزين عبر الزمن، لكن مثلما قلت لك، لن يكون لك دور سوى شاهدة، افتحي الباب الآن وأمسكي بيدي.

كنت خائفةً، لكنّني أريد أن أفهم وأعرف سبب ما يحدث معي، ولكي أنجو من المترقبين. أنا لا أثق كيف تنتهي حياتي، لكن لا يوجد سبيل آخر؛ وذهبت وفتحت باب القطار، وأمسكت يديها، وأغمضت عينيّ وقفزت، شعرت أنني أقفز من فوق جبلٍ عالٍ؛ بسبب طول مسافة السقوط، ثمّ دخلت في دوامة سريعة من الإعصار كنت أنتقل برعونةٍ بين الأزمنة كإبرةٍ آليةٍ تحيك قطعتين من القماش...

****

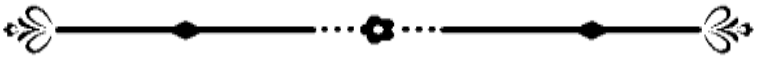

(5) السقوط عبر الزمن

كنت أعتقد أنّني عثرتُ أخيرًا على الهدوء والأمان، لكن اكتشفت بعد ذلك أنّ كل هذا تمهيدٌ لواقع أسوأ ينتظرني لم أتخيله، وأنّني لم أرسل للأمان، بل للـجحيم! كنت أعشق العصور القديمة منذ نعومة أظفاري وأقرأ عنها، ومن أجل بحثي لروايتي الجديدة عن مملكة آشور تعمقت أكثر بها، لكن لم أتخيل أبدًا أنّني سوف أراها وأصبح جزءًا منها..

ثمّ توقفت الدوامة السريعة، ووجدت وجهتي أمام مملكة عظيمة، يحيطها سور ضخم والقصر الملكي كان عريقًا مبنيًا على الطراز القديم، وبه أعمدة بالخارج كثيرة، وتصميم القصر يبدو كحصنٍ مدبب الشكل من الأطراف. والحراسُ منتشرون في كل مكان مع عامة الشعب البسطاء الذين كانوا يرتدون العباءة القصيرة، والنساء ترتدين الفساتين والشالات المصنوعة من النسيج ويبيعون الفخار والخزف، وآخرون يبيعون الصوف، ثمّ رأيت تالين تخرج من القصر على الفرس مسرعةً وتعبر من خلالي كأنّني ظلٌّ خفيٌّ، فأغمضت عينيّ وإذا بي أنتقل في لحظاتٍ لمكانٍ آخر، لقد انتقلت لا إراديًا في غمضة عين خلفها، ورأيتها تقف أمامي بجوار قصرٍ قديمٍ عتيق الطراز، تذكرت حديثها حينما قالت بأنّها تركت المملكة وامتطت حصانها وذهبت بعيدًا عن المملكة، إذًا هذا المكان الذي كانت تقصده.

لمّا تتفحص القصر المخيف بهذا الشكل إنه حقًا مريبٌ بلونه الأسود وأطرافه الضخمة، لكن زاد فضولي بالدخول لأعرف من الذي يسكن في هذا القصر الغريب.

وعندما دلفت بالداخل عبرت بجسدي من الباب خلفها، المنزل كان مهجورًا وخيوط العنكبوت تملأ المكان، وفجأة أتى شخصٌ من الأعلى، بدأ ينزل على سلالم القصر بهوادة وكان عريض المنكبين، طويل البنية، ذا بشرة شاحبة وشعر أسود طويل يصل لمنكبيه، ينسدل على عينيه، ويرتدي رداءً أسود اللون، نظر لتالين مطولًا وقال لها:

- كيف أتيت إلى هنا؟

ثمّ تحدثت إليه بقوة مصاحبه لين في الحديث، وقالت:

- أصابني الفضول لكي أرى منزلك؛ كيف تعيش في منزلٍ كهذا؟

كنت أنظر إليهما في حالة من البلاهة وقلت: كيف فهمت ما يقولان، أنا لا أعلم اللغة الأكادية؟ لغة الحضارة الآشورية القديمة، ثمّ رد عليها الشخص الغريب ذو البشرة الشاحبة: قائلًا:

- ألا تخافين وأنت تدخلين منزلًا غريبًا بمفردك لا تعرفين من يقطن به؟

كان الوضع مربكًا للغاية، وأنا كنت أشاهد وأتفحص المكان، وكانت تالين ترد على حديثه بقوةٍ وتقول له:

- أنا لا أهاب شيئًا، أنا ملكة وفارسة؛ لقد خضت حروبًا كثيرة مع أبي وليس لديّ شيءٌ لأهابه، لكن من أنت؟ وكيف يتواجد قصر بهذه الفخامة والمملكة لا تعلم بشأنه؟ ما اسمك أيها الفارس؟

- أنا إلياس، وهذا منزلي، وهل يحق لملكة بلدنا الدخول كما تشاء إلى منزل عامة الشعب؟

- لا، الملكة من حقها أن تعرف ما يستجد في مملكتها، وأنا أرى هذا القصر للمرة الأولى.

- هذا لأنك يا ملكتي لا تعرفين شيئًا عن شعبك، هذا القصر أقدم ما في المملكة، ومتواجد هنا منذ زمن.

كانت تالين تنظر بحياءٍ وخجلٍ من رده، وكيف لملكةٍ لا تعرف أمورًا عن مملكتها وعن عامة الشعب، لكن الوضع كان مربكًا بالنسبة لي، كنت شاهدةً على أحداثٍ غامضة؛ لكن ظهور تالين على أنّها إنسية مثلي كان مربكًا بالنسبة لي، فهي ليست كما ذكرت المخطوطات على أنّها خالدة متعطشة للدماء! قد يكون قبل أن تتحول أو أنّه يوجد شيء خطأ يحدث! ثمّ اقتربت من هذا الغريب وأحسست أنني رأيته من قبل لكنّني لا أتذكر، وقطع شرودي حديث تالين تقول له:

- كيف تعيش في منزل شبه مهجور وبه خيوط العنكبوت؟ هذا المنزل ليس آدميًا.

ثمّ اقترب إلياس تجاهها وقال لها بصوتٍ خافت:

- ومن قال لك بأنّني آدمي أيتها الأميرة الصغيرة؟

أحسست برجفةٍ قويةٍ، ورأيت خوف وتوتر تالين أيضًا، وابتعدت عنه بضع خطواتٍ وقالت:

- أنا لا أهاب الخرافات التي تتحدث عنها، سأترك منزلك المهجور وسأذهب.

رد عليها إلياس قائلًا:

- وهل الدخول مثل الخروج؟! من قال لك إنّه مثل منزلك، هذا منزلي، منزل عائلة إلياس العابدين، ليس هيّنًا الخروج منه يا أميرتي.

ثمّ حدث أمرٌ مريبٌ عندما كانت تالين خارجةً من باب القصر، أقفل الباب من تلقائه وخيوط العنكبوت أصبحت تحاوطه كما كان! شعرت برجفةٍ وريبةٍ، وتالين أيضًا كانت في حالة من البلاهة والتوتر، لكنّها أظهرت عكس ذلك له ولم تهابه، وسحبت سيفها وأشهرته تجاهه وتحدثت قائلةً:

- أنا لست جبانة أو لقمة سائغة كما تظن، أنا من خضت حروب المملكة، أنا أشهر فارسة وأحسنهم، أفهمت؟ ابتعد بسحرك عني أيها الساحر اللعين.

ثمّ أقدم مسرعًا إليها حتى أصبح أمام تالين وقال:

- من قال هذا بسحر، هل ستقتلينني هيا؟ أريني ما لديك!

لكن حدث ما لم أتوقعه، عندما وجهت السيف إليه وأصابته في يده إصابة طفيفة، وقالت له في غرورٍ وكبرياءٍ:

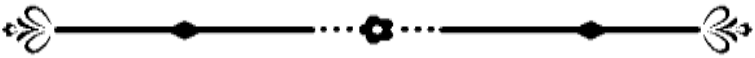

- ألم أقل لك لم أهب شيئًا، ابتعد عن طريقي الآن لكي لا أقتلك يا عزيزي.
كانت تالين تظهر كفارسة حقيقية وقلت: يا لك من امرأةٍ شجاعة.
لكن حدث أمرٌ مريبٌ؛ عندما اقترب إلياس إليها بسرعة زائدة، وأصبح لا يفصل بينهما سوى سنتمترات، أمسك بيديها بشدة ونظر في عينيها نظرةً مطولةً أفقدتها الوعي على إثرها، كالتنويم المغناطيسي لكن الأسوأ أنّني أيضًا وقعت وأغمي عليّ.
وعندما أفقت كنت في حجرةٍ ضخمةٍ مطليةٍ باللون الأبيض، لا يوجد بها غير مرآة وسرير أتكئ عليه، وخزينة ملابس صغيرة، وستائر باللون الأسود تحجب أشعة الشمس، فكان المكان شبه مظلمٍ، وتحدثت إلى نفسي قائلةً: هذه ليست غرفتي أين أنا؟! ثمّ استرجعت ما حدثت معي، وازددت رهبة ونظرت يساري ويميني لم أرَ تالين أين هي؟ ماذا أفعل الآن؟ واتجهت إلى مقبض الباب لكي أخرج من هذا المكان المريب وأبحث عن تالين، فإذا بإلياس يفتح الباب ويصطدم بي وينظر إليّ بغضبٍ، كان يراني لا أعرف كيف ذلك؟ وردد قائلًا:
- أتحاولين الهرب أم ماذا؟ لا يوجد منفذ للهرب هنا أنت في قبضتي يا ملكتي الصغيرة.
قلت ماذا يحدث؟ لمَ يطلق عليّ هذا الاسم؟ وكيف يراني؟ وأسرعت إلى المرآة ورأيت المفاجأة لقد تجسدت في هيئة تالين! ماذا يحدث؟ وأين تالين؟ ولمَ تركتني مع المدعو إلياس؟! أفكار كثيرة متداخلة والخوف بدأ يسيطر عليّ،

استجمعت شتات نفسي وقلت: يجب أن أمثل أنني تالين حتى لا يشك في أمري، يجب أن أكون قويةً مثلها، وقلت بصوتٍ متقطعٍ ومتلعثمٍ:

- ألا تعرف أنّ المملكة ستلاحظ غيابي؟ ستتدفع الثمن غاليًا.

ووضعت يدي على فمي في دهشةٍ، وحدثت نفسي قائلةً: كيف استطعت التحدث بلغتهم أيضًا؟! إنّها لغة لم أعلم عنها شيئًا من قبل، ماذا يحدث لي؟ ثمّ قطع شرودي إلياس بصوت ضحكات عالية.

- ماذا؟! مملكتك ألا تعرفين أنها هوجمت ووالدك أسير الآن!

كنت لا أصدق ما يدور حولي، ثمّ تصنّعت الشجاعة وقلت له:

- ابتعد يجب أن أخرج من هنا، كيف تجرأت على سجني؟! سآمر الحراس بنفيك للأبد!

ووجهت قبضتي إليه، لكنّ يدي هي التي تألمت، أما هو كان واقفًا بلا حركة ولم يحدث له شيء. قلت في عقلي كيف لم يتأثر بلكمتي؟ فادعيت البلاهة قائلة:

- من أنت؟ كيف تكون هكذا ولم تتأثر بالضربة التي وجهتها إليك؟ هل أنت وحش كما في الأساطير؟

قهقه إلياس من طريقة حديثي الطفولية بعض الشيء ورد قائلًا:

- لا تشغلي عقلك بهذه التفاهات الآن، وركزي في مصيرك وما ينتظرك يا أميرتي الصغيرة.

- ماذا تقصد؟ وماذا ستستفيد من تواجدي هنا؟!

ثمّ اقترب مني وأصبح أمامي مباشرةً، ونظر في عيني كنت في حالةٍ من الجمود مع قربه الزائد لي كدت أسمع نبضات قلبي، ثمّ وضع أنامله على فمي وقال:

- هوس.. اصمتي لا تصدري صوتًا ولا تتحركي من الغرفة حتى آتي إليك، والطعام هنا تفضلي لا أريد أن يشعر بك أحد لصالحك.

تركني واختفى في لمح البصر، وأنا لا أفهم شيئًا ولمَ تجسدت في جسد تالين؟! هل ذلك من أجل رؤية ما مرت به هي؟ ما حقيقة المدعو إلياس؟ ولمَ يريدني ألا أتحدث؟ ثمّ مرّ على مسامعي صوت شخصٍ آخر يأتي من الأسفل، ذهبت بهدوءٍ وخرجت من الغرفة وكان يوجد ممر طويل وبه عمود أبيض اللون على جانب الجدار الذي يصل لسلالم القصر المتصلة بالدور السفلي، وقفت خلف هذا العمود لكي أستطيع التنصت عليهم وأعرف لمن يرجع هذا الصوت، ورأيت شخصًا مجهولًا ملثم الوجه يتحدث لإلياس ويقول:

- هل أتممت المطلوب منك؟ لا أريد أي خطأ يجب أن تختفي تالين! مصير العشيرة يعتمد عليك يجب أن تكون المملكة لنا ولا يشارك فيها أحد؛ لأنّ الحرب بين القبيلة الأخرى ستبدأ، بعدما تمكنا من الاستيلاء عليها. لا نريد شخصًا يكون عائقًا ضدد مخططنا

- كلّ شيء تم التنفيذ والمطلوب سأفعله من أجل العشيرة.

الشخص المجهول:

- سأعتمد عليك يا إلياس، ويجب أن تنفذ المهمة، الوداع.

ما الذي أسمعه؟! لم أفهم شيئًا عن أي عشيرة يتحدث؟ وما دخل تالين بكل ذلك؟ هل يريدون التخلص منها وقتلها؟ لكن أنا لست تالين، أنا التي سأقتل ماذا سأفعل؟ وكيف سأخرج من هنا. ومن هذا الجسد؟ ورأيت إلياس يصعد على السلالم من أجل أن يصل إلى غرفتي، وأسرعت بالذهاب إليها كما كنت وجلست على السرير، وكأنّ شيئًا لم يكن.

- هل استمتعت بالتنصّت علينا؟ ما رأيك؟ وهل فهمت ماذا يحدث؟

كنت في صدمةٍ وقلت:

- ماذا تقول؟! لمَ سأتنصّت عليك؟

واقترب إليّ المدعو إلياس وجلس بجواري وبدأ ينظر إليّ في حدة وأردف قائلاً:

- أستطيع شمّ رائحتك الجميلة، أسمع نبضات قلبك، وهذه الميزة التي تميزني عن قبيلتي، لا تستهتري بحديثي من أجل سلامتك.

كنت خائفةً من نظراته وهيئته عندما اقترب مني، وحديثه المريب، ثمّ قلت له:

- أي قبيلة؟

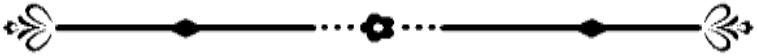

- أنت الملكة ولا تعلمين! يوجد قبائل عديدة هنا منها: قبيلة جبال حمرين، وأيضًا وداي السدة والسيحة والعيث، ومدينة نينوى، وأيضًا الكوفة، والنهر العظيم، والسامراء.

- وأنت من أي قبيلة مما ذكرت؟

- أنا لست من أي قبيلة من اللاتي ذكرتهن، أنا من قبيلة عالم الظلام.

نظرت له في بلاهة وعدم استيعاب ورد قائلًا:

- لا تجهدي نفسك في الاستيعاب؛ لن تفهمي شيئًا مما أقول لأنك محدودة التفكير، اجهزي سنتحرك الآن.

لم أفهم شيئًا مما يقول وتحدثت إلى نفسي قائلةً: لمَ الأشخاص من الماضي يتكلمون بالألغاز والجدية الزائدة يا إلهي، الأيام القادمة ستكون أسوأ.

- هل تقولين شيئًا؟

- لا شيء، لا تشغل عقلك، إلى أين سنذهب؟

- ستعرفين بمجرد وصولك، ولا تتكلمي كثيرًا يا ثرثارة.

تحدثت بنبرة عالية وحدّة:

- أنا لست ثرثارة ولا دمية في يدك تحركها كما تشاء، أين سنذهب؟

وعلى حين غرة اقترب مني بضع خطواتٍ بسرعة الريح حتى تلاقت أعيننا، وقال:

- يجب الرحيل الآن.

وأمسك معصمي وحملني بالقوة على منكبيه، ونزلنا للأسفل، ثمّ خرجنا لخارج القصر المريب، وتركني على الجواد، وقام بتوثيق معصميّ بحبلٍ غليظٍ، ثمّ امتطى الحصان خلفي.

كنت في حالة يرثى لها عندما قام بربطي أحسست بتخديرٍ تامٍ في جسدي، ولم أستطع المقاومة وأسرع بكل قوةٍ بالفرس إلى أقصى البلاد، أخذنا يومًا كاملًا دون راحة، ثمّ تملّكتني حالة من الفزع فأنا ذاهبة إلى المجهول ولا أعلم نهايتي، كنت في زمانٍ بعيدٍ ووطنٍ ليس موطني ولهجة غريبة أيضًا، كنت ألتفت يسارًا ويمينًا، ولا أعرف أين نحن، فتحدثت بلهجة متجهمة: أين نحن؟ لكنه كان هادئًا وفي حالة من السكون، ثمّ تحدّث أنّنا الآن في شرق النهر العظيم، وبالتحديد إلى قلعة الناي وهذه منطقة الغرفة، وهي أراضي زراعية تقع بين الخالص وإنجاتا، والآن نحن أمام قلعة الناي، ثمّ تغيرت طريقة حديثه إلى سخرية قائلاً:

-القلعة يا أميرتي الصغيرة، تابعة لمملكتك لكن للأسف شعبك ووالدك تركوها وهاجروا منها، وأصبحت الآن مجرد أطلال لا أحد يذهب إليها.

وتركنا الجواد وأقدم الياس إليّ وجذب الحبل باتجاهه بقوة، وفك وثاقي وأمسك بمعصمي وذهبنا داخل الحصن القديم، كنت أنظر حولي في بلاها تصحبها سعادة مريبة؛ لرويتي الحضارة الآشورية وهي أقدم حضارة في التاريخ، كانت الأراضي الزراعية تحيط بنا، وفي نهاية الطريق رأيت الحصن لقد قرأت عنه من قبل كنت مثل البلهاء أتفحصه كان كبير الحجم مثل

المتاهة، وبه غرف كثيرة ومشيد من الطوب اللبن وهو (طوب الصلصال) وصعدنا إلى أعلى سلالم القلعة، ورأيت غرفة تشبه السجن، دفعني إلياس وحبسني بداخلها! تحدثت إليه بصوتٍ عالٍ وصراخ:

- ماذا تفعل؟ لماذا تسجنني؟ أتريد قتلي؟ أنت، أخرجني من هنا، سوف أقتلك.

- اصمتي، كفى صراخًا، أنت هنا من أجل حمايتك لا تتذمري كثيرًا؛ أنا أصنع لك معروفًا، سوف آتي لك بالطعام والشراب، ولكن لا تصدري صوتًا؛ لكي لا أضطر لقتلك. أفهمت؟

تركني هذا المعتوه وذهب وأوصد الباب الحديدي خلفه، وأصبحت حبيسة في غرفة شبه مظلمة، لا أعرف ماذا أفعل، لكن يجب أن أهرب من هنا، هم لا يقصدونني أنّهم يريدون تالين الملكة، لكنّه قال إنهم احتلوا المملكة، أيعقل! يريدونها أسيرة حربٍ! وأنّ المملكة بالفعل وقعت تحت سيطرتهم، لكن من هم؟ عندما كنت أبحث عنهم لم يُذكر شيءٌ عن قبيلة الظلام، وأيضًا لم يُذكر أنّ المملكة احتلت من قبل هذه القبيلة، ومن هو المدعو إلياس؟ وماذا يريد من تالين؟! يجب أن أهرب وأصل للمملكة؛ قد تكون هي باب خروجي من هذا العالم، لكن كيف أهرب من هنا؟! أنا حبيسة في هذه الغرفة وبابها الحديدي، ثمّ ذهبت لآخر الغرفة، وجلستُ، وضممتُ قدميّ إلى صدري في وضعية القرفصاء، وشعرت بشيءٍ وخز قدمي، ثمّ نظرت في حذائي وإذا بخنجر أثريّ غريب الشكل على هيئة أفعى، لونه فضيّ كان

موجودًا في الحذاء! فأتت إلى ذهني فكرة كيف أهرب، لكن يجب استدراج إلياس إلى هنا ويفتح لي الباب أولًا، وخبأت الخنجر كما كان، وقلت في عقلي فكرتي قد تتسبب في أذاه، لكن هم يريدون قتلي أنا، يجب أن أدافع عن نفسي ولا أضعف أبدًا، بدأت بالصياح والصراخ بأعلى صوتٍ، فأسرع إلياس تجاهي في قلقٍ قائلًا:

- ماذا حدث لك أأنت بخيرٍ؟ لماذا تصرخين؟

أقدمت إليه بدلالٍ وخبثٍ، وقلت: أنا خائفة؛ لقد لمحت ثعبانًا هنا، واقتربت إليه في وضعيه متقاربة وأمسكت رداءه في ميوعة واقتربت أكثر، وأخرجت خنجري الفضي وطعنته في منكبيّة ودفعته بعيدًا، لكن الطعنة لم تكن قوية، بل كانت كفيلة بهروبي وتركه! وامتطيت الجواد وأسرعت به قبل أن يلحق بي.

ورمقت نفسي في ذهولٍ كيف امتطيت الجواد بهذه السرعة؟ وأنا للمرة الأولى التي أمتطي فيها حصانًا، ولماذا تتساقط دموعي هكذا؟ هل بسبب ما فعلته؟ لكنّني لم أقتله! ماذا يحدث لي يجب أن تظهري يا تالين، لكي تحرريني من هذه اللعنة، لقد أصبحت إنسانة أخرى بسببك، ثمّ توقفت في القرية التي تدعى أنجاتا التي ذكرها إلياس من قبل، وتركت الحصان وجلست للراحة في مكانٍ بين الأراضي الزراعية، كنت أمتعُ نظري بالمناظر الخلابة والهواء النقي الخالي من مؤثرات التكنولوجيا الفاسدة، وعلى غفلة

ظهر خمسةُ رجالٍ طوال البنية عراض المناكب ذوو ملامح غليظة وصوت جهوري، اقتربوا مني وقالوا:

- هذه أنت لم تقتلي بعد؟

ثمّ قال آخر:

- إنّها جائزة على من يقتلها.

ووشخصٌ ثانٍ قال:

- سنأخذها حيّة ستكون الجائزة أكبر أنّها الملكة المستقبلية.

أصبت بالجمود والخوف مما سمعت، وقلت من الذي يريد قتلي، ووضع مكافأة لمن يعثر عليّ؟! لمَ الجميع يريدون قتلك يا تالين، وأنا بداخل جسدك؟ لقد هربت من مستقبلي لسبب قتلي وآتي إلى الماضي لأقتل أيضًا! يا لي من سيئة الحظ! لكن هل إلياس محق في حبسي ليحميني؟ أم يريد قتلي هو أيضًا؟ واستجمعت قوتي وتحدثت بكل ثقة:

- ألم تعرف مع من تتحدث؟ أنا الملكة، سوف تقتلون على فعلتكم هذه، أنا لا أهابكم، أنا فارسة مغوارة.

ثمّ ضحك أحدهم في استهزاءٍ قائلًا:

- أيتها المغوارة، ستقتلين الآن وسيكون لنا جائزة على موتك.

ثمّ أخذوا يضحكون في سخريةٍ، وأنا لا أعلم ماذا أفعل ولا أستطيع محاربتهم؛ هم أقوى وأكثر في العدد، ولم أعرف بمن أستنجد؟! ولا أين أذهب؟

وعلى حين غره أتى بسهمٍ من مسافة بعيدٍ اخترق قلب الرجل الذي كان يحاورني! وسهم ثانٍ اخترق رأس الرجل الآخر! أصبت بحالة من الذهول ولا أعلم ماذا يحدث؟

والتفتُ للخلف لأنظر؛ فإذا بإلياس يمتطي الفرس وفي يده الأسهم، ثمّ قفز من أعلى الفرس وقام بالهجوم عليهم، وسحب سيفه باتجاه الرجل الثالث ليطير عنقه، أما الآخر فقتله بطريقة مخيفة لقد انتزع قلبه بيده بسهولة ووحشية! كنت في حالة غريبة تجمع بين الرعب والاطمئنان عندما رأيت إلياس أحسست أنه منقذي.

ثمّ قال إلياس للرجل الخامس:

- ابعث هذه الرسالة إلى من أرسلوك، وقل لهم لقد أتى إلياس فاحذروه.

أصيب الرجل بالفزع وهرول هاربًا واختفى.

ثمّ نظر لي إلياس في تجهمٍ واستطرد قائلًا:

- هل يوجد لديك حيلة وخداع آخر لكي تقتليني؟

شعرت بخوفٍ وخجلٍ شديدٍ بسبب فعلتي، واقتربت منه:

- أعتذر منك على فعلتي بك، لكن من أنت؟ لماذا تفعل كلّ هذا معي؟ هل المملكة بأكملها تريد قتلي كما تحدث الرجل قبل قليل؟ وهل أنت فعلًا تحميني أم يوجد شيء آخر تريده مني لا أعرفه.

- هل اكتفيت من هذه السخافات؟ هيا بنا المكان هنا خطير يجب أن تختفي عن الأنظار.

كنت أشعر أنني في كابوسٍ وسأفيق منه بعد قليلٍ، لكنّني اكتشفت أنه حقيقي وأنني ذهبت إلى عالمٍ مخيفٍ يتسابق فيه أناسٌ خطيرون على قتلي، وتعهدت أنّني سأنصت لحديث إلياس وأنفذه، ولن أعترض عليه؛ لأنّه هو الشخص الوحيد الذي يحميني، كنت أنظر إليه على أنّه ملاكي الحامي وحارسي الوسيم، لكن ما أحزنني عندما رأيت جرحه ينزف بسبب ما فعلته به؛ شعرت بالذنب واقتربت منه وقلت:

- أأنت بخير؟ أتريد شيئًا؟

كانت نظرات إلياس لي يملؤها الحبّ والقلق، لا أعرف لم شعرت بذلك، وأنّه يوجد سر كبير في حياته، لكن تأكدت من شيء واحد أنّ إلياس يحميني ويهاب خسارة تالين، أو بمعنى أدق يحبها. لكن لمَ أشعر بالشفقة عليه؟ ولماذا أميل له؟ لا، هذه مجرد تخاريف بسبب أنّني تجسدت في هيئتها، أفكار متداخلة تقتحم عقلي عنوة أحاول تجنبها، لكن لا مفر منها، ثمّ قطع شرودي قائلًا:

- يجب أن نغادر هذا المكان الآن.

كنت في حيرة من أمر إلياس، لكنّني راعيت رغبته وامتطينا الجواد ورجعنا إلى القلعة مكان الحماية لنا، لكن فضولي كان يسابقني من الأهوال التي تسير معي، فذهبت وتحدثت مع إلياس، ماذا يحدث؟ وما مصير المملكة والملك؟ استكمل حديثه أنّ والدي بخير، لكن المملكة أصبحت في قبضة حكم قبيلة أخرى، وتبحث عني لقتلي؛ لأنّني الوريثة الشرعية للملكة،

وأنه هنا لحمايتي، تعجبت من حديثة واستكملت بغضبٍ وحدّة، هل أنت تابعٌ لهم؟ ومن أنت؟ لقد سمعتك تتحدث مع الشخص الذي أتى للقصر ويأمرك بقتلي! هل أنت صديق؟ أم عدو؟

لكنه قاطع ذلك بحدة في حديثه:

- هل سيفرق معك عندما تعلمين من أنا وستغيرين فكرك؟

- لا يفرق معي لقد رأيت مقدار خوفك وحمايتك لي، لكن أريد أن أعلم من أنت؟ وماذا تريد؟ وهل انشققت عن أتباعك بسببي؟

- لا يوجد شيء لكي تعرفيه، لكن أنا هنا لحمايتك، فقط اعلمي ذلك، ونحن هنا لفترة وجيزة؛ لكي أعثر على وسيلة لإخراجك من هنا.

كان حديث إلياس مبهمًا، لكنّه شعر براحة تجاهي ورفض احتجازي مرة أخرى، ودارت أحاديث طويلة بيننا عن المملكة والحدود؛ مما أعطى لي خلفية أكثر عن حضارة آشور والمملكة، وتقربنا أكثر كنا نقضي أكثر الأوقات معًا في الخارج لشراء الطعام أو للتنزه بجانب القلعة، لكنّني كنت ملثمة الوجه عند الذهاب لكي لا يتعرف علي أحد مثلما قال إلياس؛ لأنّ حياتي أصبحت في خطر، رغم ذلك ارتسمت السعادة على تقسيمات وجهي، كنت أسرق لحظات من الزمن لأصبح بجواره، وسهوت عن شخصيتي الحقيقية ومن أنا، وصدقت بالفعل أنّني تالين، حتى اليوم الموعود عندما هوجمت القلعة من قبل أتباع إلياس، وكانت المفاجأة التي لم أكن أتوقعها ولا أريد تصديقها من البداية. حقيقته المخيفة...

كنا نتنزه خارج القلعة في سعادة عارمة، ونتشابك الأيدي لكي لا يشك في أمرنا أحد من البلدة، وعندما دلفنا إلى الداخل أحاطنا أشخاصٌ ملثمون ذوو بنية ضخمة، وأمسكوا بنا وكانوا يرتدون عباءة سوداء، وأحدهما تربص بي، وتشبث بي بقوة، والخمسة الآخرون أمسكوا بإلياس، وظهر شخصٌ من خلفهم، وتحدث إلى إلياس قائلًا:

- لقد خالفت العهد وخنت قبيلتنا.

كنت أنصت إليه وقلت لقد سمعت هذا الصوت من قبل، نعم، إنّه الرجل الملثم الذي أتى إلى القصر من قبل، هل أتى لقتلي الآن؟ شعرت بريبةٍ وقلقٍ وكاد يخرج قلبي من أضلعي، ثمّ هاجمه إلياس في الحديث بصوتٍ عالٍ قائلًا:

- أنا لم أخن القبيلة، أنا كرست حياتي لها، أما عن تالين فأنتم من أمرتم بأخذها بعيدًا، وأنا فعلت ذلك ووضعتم أيضًا أيديكم على المملكة ماذا تريدون الآن؟

فاقترب الشخص المجهول من إلياس وأمسك وجهه وقال:

- طلبت منك قتلها؛ لكي لا تعود يومًا ما وتُطالب بالعرش أيها الأبله.

- سآخذها وأذهب بعيدًا عنكم وعن المملكة بأكملها، لكن اتركها ولا تقتلها.

كان يقهقه الشخص المجهول قائلاً:

- هل تحبها يا إلياس؟ وهل قلت لها عن حقيقتك ومن أنت ولأي قبيلة تنتمي؟!

لم أفهم ماذا يقول هذا الشخص المجهول، وأشاح الوشاح من على وجهه، وكان شخصًا يشبه إلياس ببشرته الشاحبة وشعره الأسود الذي يصل لمنكبيه، ثمّ صاح إلياس بصوت عالٍ وقال للمجهول:

- سديم، كفى... اصمت الآن.

ثمّ اقترب المدعو سديم إليّ بسرعة الريح قائلًا:

- أعرفك بنفسي أنا سديم، شقيق إلياس الأكبر، هو لم يتحدث معك عن حقيقته المخيفة صحيح؟

كنت خائفةً وقلت بصوتٍ متقطع:

- عن أي حقيقة تتحدث؟

- كنت أتوقع ذلك لم يخبرك إذًا بحقيقته، سأقول لك يا أميرتي الجميلة، ما هي حقيقة فارسك الوسيم؟ أترين هذا السيف؟!

أصبت بحالة من البلاهة وعدم الاستيعاب لكل ما يحدث، وقلت له:

- نعم أراه.

وإذا فجأة أقدم بسرعة مهولة تجاه إلياس وطعنه بالسيف! كنت في حالة رهبة وذهول وحزن قلت له:

- كيف تقتل أخاك؟ أجننت؟ ماذا يحدث هنا؟

وأسرعت مهرولةً إلى إلياس في صدمةٍ وبكاءٍ، وأمسكته لكن حدث ما لم أتوقعه أبدًا؛ لقد رمقني والحزن يرتسم على تقسيمات ووجه، ثمّ تحرك مبتعدًا للخلف واتجه إلى سديم قائلًا:

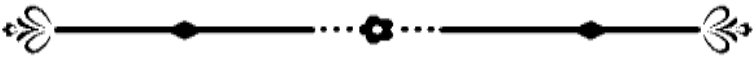

- إذًا، لا مفر يا سديم، كنت أعلم أنك ستفعل ذلك، كل شيء سيكتشف يومًا ما.

ثمّ أمسك السيف وأخرجه من جسده، وظهرت أنيابه المدببة ووجهه أصبح أكثر شحوبًا، وتغير لون عينيه إلى اللون الأحمر، وهيئته أصبحت أكثر رعبًا، وقلت إنّه مصاص الدماء، لا أصدق إنه الملك الخالد إذًا! هل هو من تسبب في تحويل تالين إلى متعطشةٍ للدماء مثله؟! كنت في حالة صدمة، ومن رهبتي منه ابتعدت عنه بضع خطوات، لكنه نظر إليّ واقترب أكثر نحوي بهيئة مخيفة؛ شعرت أنه سيهجم عليّ ويفترسني، لكنه تحدث إليّ وقال:

- نعم، يا تالين، هذه حقيقتي؛ وحشٌ من قبيلة الظلام، وهي قبيلة مصاصي الدماء الذين عاشوا في الظلام، لكن أنت كنت النور الذي ظهر في حياتي وأنار عتمتي، أنت شعاع الأمل الذي أعلن إحيائي من جديد، فقلبي لم ينبض إلا لك، هل تتذكرين عندما تحدثت وقلت لمَ تفعل كل هذا؟ وهل انفصلت عن قبيلتي من أجلك؟ وأنا لم أعرفك إلا منذ فترة قصيرة، لا يا تالين، أنا قابلتك منذ زمنٍ؛ لقد رأيتك للمرة الأولى عندما كنت في العاشرة من عمرك وضعت في الغابة، وكانت الحيوانات المفترسة تحيط بك وأغمي عليك، وعندما أفقت كنت أمام قصرك، أنا من قاتلتهم من أجلك، وأيضًا من حملك إلى باب قصرك، ومن هذه اللحظة وأنا معك أراقبك وأحببتك واكتفيت برؤيتك من بعيدٍ، ولم أتجرأ على الاقتراب منك حتى اليوم الموعود، عندما علمت بنوايا قبيلتي بالهجوم على المملكة وأمري

بقتلك، لكن لحمايتك أرسلت لك سحري لكي يسلبك عقلك وتأتي إلى قصري لحمايتك، نعم يا تالين، أنت لم تأتي مصادفة إليّ.

كنت أسمع ما يتفوه به في حزنٍ وامتلأت مقلة عيني بالدموع، لا أعرف لماذا لكنني كنت حزينة من أجله واقتحمت قلبي مشاعر متضاربة تجاهه؛ إنه أحب تالين بصدقٍ لكن لمَ أشعر بشعورٍ غريبٍ نحوه؟! وتقدم سديم نحو إلياس وبدأ التحرك حوله، وقام بالتصفيق له قائلًا:

- هذا هو شاعر وفارس قبيلتنا إنه يعشق إنسانة، كنت أعلم أنك ستفعل ذلك وتتسبب بفقدان المملكة بأكملها، ألم تعِ أنّ أعداءنا في كل اتجاه وسنفقد المملكة؟ وأنت هنا تعشق أميرتك الصغيرة، وقبيلتنا أوشكت على الانقراض لم يعد منك رجاء، يا حراس، أمسكوا به هو وأميرته.

- سديم، ماذا تفعل؟ أجننت أنا لست خائنًا، الحرب قد أوشكت وإنّ حمايتها ستكون منفذًا لنا، وأيضًا لك يا أبله،لا تفهم شيئًا!

- لا أريد الفهم، والآن خذ قيلولة أنت وأميرتك.

كنت في حالة نصف مغيبة أترنح يمينًا ويسارًا، وسمعت سديم يقول:

- أنا أكبر وأقوى منك يا أخي الصغير، وتعلم مدى قوة موهبتي؛ أستطيع تنويم إنسان ومصاص دماء أيضًا مهما كانت قوته. أنت تمتلك قوة عظيمة لكنك غبي لا تدرك قيمتها.

ثمّ وجه حديثه للحراس أن يحملانا وقال لهم:

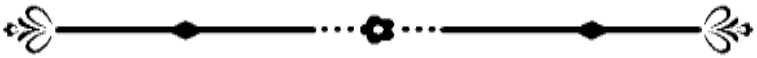

- سنأخذهم إلى الضفة الشرقية بجانب مدينه نينوى، إن مكان تجمع قبيلتنا هناك قبيلة الظلام التي ظلت في الاختفاء منذ زمنٍ بسبب بطش الإنسان من أي قوة خارجة عن الطبيعة.

أفقت من نومٍ عميقٍ وإذا بي في غرفةٍ مظلمةٍ لا أرى شيئًا غير شعاع شمسٍ دخل الغرفة خفية، وتحركت حركة بطيئة بسبب الظلام، كنت أرى الغرفة بصعوبة وتمكنت من الوصول إلى الباب وفتحته؛ وإذا بقصرٍ كبيرٍ وستائر نصفها باللون الأسود والآخر باللون القرمزي الدموي، وكانت مغلقة ولا يوجد غير ضوء الشموع ليضيئها، وأنا في الدور العلوي، ثمّ تحركت في ريبةٍ ونزلت على سلالم القصر السفلي لكي أعرف أين أنا؟

وخرجت إلى الخارج وإذا بمكانٍ كبيرٍ يشبه القلعة محاطٍ بأسوارٍ من الحديد وأشجار كثيرة، وفي المنتصف توجد بحيرة صغيرة وكان هناك أناس يتجولون في أنحاء القصر، وعندما رأوني نظروا لي بطريقةٍ مريبةٍ وكان شكل بشرتهم شاحبة مثل إلياس، ويرتدون العباءة السوداء وقلنسوة على الرأس، ثمّ بدؤوا يتجمعون حولي لكنهم توقفوا بأمرٍ من شخصٍ خلفي، وعندما التفت للخلف رأيت رجلًا ذا هيبة وشأن أمرهم بالانصراف، كان يرمقني والسعادة ترتسم على تقسيمات وجه، ثمّ استطرد قائلاً:

- هل أعجبك قصرنا يا تالين؟

- من أنت؟

(6) قلعة قبيلة الظلام

تلاشى السر المقدس للجسد والروح ها أنا أصبحت في عالمٍ وهميّ زائف، تمسكت بحب خيالي أجهل حقيقته؟ لكنها مجرد ذكرى لجسد تالين المتلاشي؟ أنا الآن بداخل بؤرة زمنية مخيفة، والأسوأ أن كل شيء يصيبني أشعر به عندما تجسدت بها، لقد أصبحت أنا وهي في جسد واحد، لكن السؤال هنا عندما يأتي موعد تحولي هل سأتحول أنا أيضًا؟ أم تالين فقط؟

بداخلي رغبة مقتضبة عما أفتش عنه، لكنه تشكل أمامي الآن والرؤية أصبحت واضحة، زمن مجهول، في قلعة قوى مخيفة وهم مصاصو الدماء قبيلة الظلام مثل ما لقبوا أنفسهم، أراه يقف شامخًا متباهيًا بهيئته بداخل حصنه ويعرّف نفسه أنه داغر العابدين، والد إلياس وسديم، وأنّه يعتذر على الطريقة التي تعامل بها سديم معي؛ ويبرر له أنّه متهور وقوي غير إلياس طيب القلب ويتعامل بحكمة، لكنّني تجاهلت ذلك وقاطعت حديثه: أين أنا؟ وأين إلياس؟ هل أنتم تتغذون على الدماء؟

كان حديثي متهورًا وسريعًا بالنسبة له، لكنّني شعرت أنه تملّك غضبه برسم ابتسامة مريبة، ورد على سوالي بهدوء قاتل قائلاً:

- نعم، يا تالين، سوف أقص عليك حكايتنا، نحن قوم خلقنا للعيش في الظلام بعيدًا عن أعين البشر الذين مثلكم لكي لا يهابوا منا أو يقتلونا، ليس تباهيًا أو قوة بل لدينا لعنة لأننا خالفنا العهد...

- عن أي عهدٍ تتكلم؟!

كان حديثه مبهمًا، لكنّني استرسلت في الحديث معه لكي أعلم الحقيقة المريبة خلفهم، فاستكمل كلامه أنّ أجدادهم كانوا يتعاملون مع كبار السحرة، وقبيلتهم اتخذت عهدًا دمويًا معهم للحفاظ على سرهم بعيدًا عن أي بشري، معهم قبيلة أخرى تدعى راجدان، كانوا دائمًا على خلافٍ معها، لكن كبار ملوك السحر وثقوا اتفاقية بحمايتهم من بطش الملك، لكن طمع العين لا يملؤها غير التراب أحد كبار قبيلة راجدان اتفق مع أحدٍ من قبيلتهم أن يقوموا بالوشاية عن نقطة ضعف كبار السحرة؛ لكي يتمكن حاكم البلاد من قتل السحرة؛ لأنهم طمعوا بالسلطة والنفوذ، ليتمكن الحاكم من السيطرة دون خوفٍ من بطش السحرة، لكن أعضاء القبائل سهوا عن عهد الدم ومن يخالف العهد وهذه كانت لعنة الظلام والتعطش للدم؛ لكنّ بعضًا من السحرة رأفوا بهم، ولكي يكونوا متساويين في اللعنة مع آل راجدان، سمحوا لهم بالظهور في ضوء الشمس بعيدًا عن البشر. لكن الفضول كان يركض خلفي متسائلًا ماذا كانت لعنة قبيلة راجدان؟ وتحدثت ذلك بصوت مسموع.

نظر إلي داغر في صمتٍ وريبة، ثمّ قال:

- ستعلمين كل شيء مع مرور الوقت وما هي لعنة قبيلة راجدان؟ أما الآن إلياس بانتظارك.

كنت أنصت لـداغر ولا أعرف ماذا أفعل أصبحت في حيرةٍ من أمري، لكنّ شعورًا بالشفقة والحزن تجاه إلياس تملكني، وتساءلت هل قبيلة الظلام بريئة مثل ما تدعي؟ أم لها وجه وخبايا آخران لم تكتشف بعد؟ لكن إلياس بريء، وهو يحبني حقًا، ما هذا الهراء الذي أقوله؟ هو يعشق تالين وأنت هنا مؤقتًا وستختفين مرة أخرى. وأفقت من شرودي على صوت داغر يقول لي:

- والدك بخير يا تالين، لا تقلقي، وستعلمين نوايانا الحقيقية مع الوقت، وأنها ليست لإيذاء البشرية بل لحمايتها.

رمقته في حالة من البلاهة وأومأتُ برأسي بتأييدٍ لحديثه الذي لم أفقه منه شيئًا، وتركته وذهبت لرؤية إلياس، كانت غرفته في الدور الثالث، وصعدت على سلالم القصر منبهرة من الزخارف الأنتيكات المذهبة، إنّها حقًا ثروة تاريخية قد يقدر ثمنها بالملايين، ماذا تقولين يا سيرين؟! هل هذا وقته أفيقي؟ وأخيرًا عثرت على غرفة إلياس التي كانت في نهاية الممر وطرقت الباب للدخول لم أسمع صوتًا، فدلفت مباشرةً للداخل ورأيت الجناح الكبير الخاص به، وكانت جدران الجناح مطلية باللون الأبيض والستائر

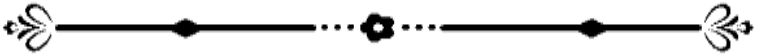

لونها أسود، وهو يقف بعيدًا وينظر إلى النافذة ولا يريد أن ينظر إليّ، فـاقتربت منه بضع خطوات فإذا بإلياس يقول لي:

- توقفي يا تالين، ولا تتقدمي أكثر، لا أريدك أن تريني بهذا الشكل المخيف.

حديث إلياس أثّر فيَّ كثيرًا، وتقدمت بضع خطوات تجاهه، وأمسكت يده وقلت:

- لا أخاف منك يا إلياس.

لكن سرت قشعريرة في جسدي عندما التفت وجهه إليّ؛ بسبب هيئته التي تحول إليها، كان شكله مخيفًا وأسنانه مدببة، وتغير لون عينيه إلى اللون القرمزي، ووجهه كان غاضبًا بشدة وشاحبًا، لوهلةٍ شعرت أنه سينقض عليّ، وتركت يده وعدت أدراجي، لكنّني استجمعت شتات نفسي وتقدمت أكثر، وحدثته:

- أنا لا أهابك، إنّني أحبك كما أنت يا إلياس، هذا شيء ليس بيديك لقد علمت كل شيء من أبيك أرجو منك ألّا تتحمل الذنب وتبتعد، انتهيت من حديثي ووضعت يدي على فمي، وقلت في عقلي ما الهراء الذي أتفوه به، لم قلت له ذلك ولماذا أريد التواجد بجانبه والتقرب منه؟ ثمّ قاطع حديثي وأردف قائلاً:

- لا، يا تالين، أنت لم تعلمي كل شيء عن فصيلتنا، أتعلمين ما هو الشيء الذي نتغذى عليه وسبب بقائنا على قيد الحياة؟ أتعلمين كم عمري يا تالين؟ أتعلمين لماذا لقبنا بمصاصي الدماء؟

رمقته في حزن ونظرت للأسفل.

- استكمل وقال:

- أنت جاهلة تمامًا، قد تكونين أنت الوجبة الشهية لدي إذا لم أجد دمًا بديلًا، كيف يتواجد الصياد مع فريسته يا تالين؟ هذا سبب بقائنا على قيد الحياة، هذا هو الفرق بيننا؟ نحن مثل النار والماء اللذين لا يجتمعان أبدًا، اذهبي الآن إلى غرفتك.

- أنا أعلم جيدًا من هو مصاص الدماء، أنتم تعيشون في الظلام، وأعلم أيضًا أنك تحب تالين بشدة، لكن أنت جبان يا إلياس، تهرب من كل شيء.

وذهبت مسرعةً إلى الخارج وأثناء خروجي من غرفة إلياس اصطدمت بأحدٍ بشدةٍ، وكان عريض المنكبين طويل القامة، فنظرت لأرى؛ إنه سديم شقيق إلياس فأصابتني رعشة في جسدي وقع نبض في أوردتي؛ فأنا أكره هذا الشخص حقًا، واستوقفني قائلًا:

- هل يوجد أحد يريد قتلك؟ لمَ تسرعين لهذا الحد لن آكلك لا تخافي، أرى أنك تهربين من غرفة إلياس هل قال لك إنه مصاص دماء ويعيش على دم البشر وإنه لا يريدك؟

رمقته بحدّة وقلت في عقلي: كيف يعلم كل ذلك؟ فارتسمت السعادة على وجهه كأنه يعلم ما يدور في رأسي، استكمل حديثه لأن شقيقه غبي ويعرف ماذا سيقول لي، إنّه يحبني ولا يشرب دمًا بشريًا هو يعيش على دماء الحيوانات، فقط ولا يحب أن يتسبب في أذى أي إنسيّ، وعندما قال لي ذلك لأنه خائف عليّ؛ لأنّ طريقه مظلم مليء بالدماء لا يريدني أن أتدخل في أمورهم؛ لأنّ قبيلتهم ملعونة بالظلام والدم والبعد عن أي إنسانٍ، لأنّ الوقوع في حبّ إنسية هو خطيئة لهم ويكون دمارها قبل دماره، ثمّ اقترب سديم وقرّبَ وجهه إليّ قائلاً:

لكن أنا لست مثله لا يفرق معي الوقوع في الحب أو الدمار؛ لأنه تسلية بالنسبة لي لا أكثر، ما رأيك أن تصبحي تسليتي الجديدة؟

كان حديث سديم مريبًا وفيه تناقض غريب؛ كيف يصف شعور إلياس هكذا وينظر إليّ بهذه النظرة المشمئزة ويعلم أنّ أخاه يحبني؟! إنه حقًا شخص قذر معتوه، فدفعته بعيدًا عني وقلت:

- أعلم أنه ليس مثلك؛ أنت شخص مؤذٍ تفعل كل شيء من أجل مصلحتك الشخصية وعلى حساب غيرك، ولا تبالي لأحدٍ سوى نفسك.

- أنت بشرية ضعيفة إذا لم تكوني ضيفة في منزلنا كنت قتلتك الآن، لكن ما لا تعرفينه أنني لا قواعد لدي، احترسي وابتعدي عن طريقي لكي لا يكون مصيرك شرب دمائك أيتها القطة الباكية.

كنت أسمع ما يقوله سديم وتوجست خيفة واتسع شدقاي، لا سيما عند اقترابه نحوي بصورة مخيفة وأصبح لا يفرق بيننا سوى خطوات ووضع يده على رقبتي ليرتشف دمائي، كاد يخرج قلبي من ضلوعي، ثمّ تراجع ونظر لي قائلاً:

- اذهبي لا شهية لدي الآن.

أطلقت العنان لساقي ولم أنظر خلفي من الرهبة والخوف اللذين سيطرا عليّ، ودلفت إلى الغرفة وجلست على السرير بـنفسٍ متقطعٍ، كنت أتنهد بصعوبة وأفكر في كل ما مررت به اليوم، وتذكرت حديث سديم عن إلياس وصدقته فعلًا ليس لأنه صادق، بل لأنني أعلم جوهر إلياس جيداً فهو شخصٌ عطوفٌ وطيب القلب، لكن كيف أكون أنانية ولم أفكر في شؤون المملكة وتالين إذا عادت إلى جسدها مرة أخرى؟ ماذا سيكون مصيرها حبيسة هنا في قصر قبيلة مصاصي الدماء يجب أن أضع حدًا وأعرف ما الذي يريدونه من تالين، لكن أنا في الماضي يعني أنا أرى ما مرت به تالين إذًا لا أستطيع تغيير مصيرها.

....

وبعد ثلاثة أيام كانت حركتي محدودة في القصر وإلياس يتجنبني أيضًا، استجمعت شجاعتي لكي أحدد مصيري، وتركت غرفتي وذهبت إلى داغر؛ لكي أعلم ماذا يحدث معي؟ ماذا يريد من تالين هو وقبيلته؟ لكن الحراس

استوقفوني عند الباب، وقالوا ممنوع الخروج من هنا. تكلمت معهم بشدة قلت:

- أريد أن أرى سيدكم الآن.

لكن قبلت ردهم بالجفاء والحدة من قبلهم، وإنّ سيدهم في اجتماعٍ سريّ وممنوع الدخول أو التحدث إليه خلال اجتماعه بكبار قبيلة الظلام، وكذلك ممنوع التجول خارج غرفتي، وأنها قوانين العشيرة، علمت أنني حكم عليّ بالسجن المؤبد، ليس داخل جسد تالين فقط و في قصرهم، فصحت عليهم أنني لست بجارية أو أسيرة حرب لكي تتحدد إقامتي في غرفة قصرهم، قوانينهم هذه لا تسري عليّ؟ أنا ملكة البلاد، لا أهاب سيدهم، أريد مقابلته والتحدث معه الآن.

ودفعت الحراس من أمامي، وعلى حين غرة شعرت بشيء يدفعني للخلف، ويتحدث في عقلي يقول: احترسي إنه عمي لاشين خائن سيحاول قتلك.

قلت: تالين، أين أنت؟ أتوسل إليك اظهري؛ أنا في ورطة بسببك قد أقتل هنا.

- لا يجب أن تكوني هنا لمعرفة الحقيقة، لكن احترسي سيحاولون قتلك لكن أنا معك اعلمي ذلك، الآن ادلفي للداخل بشجاعة وواجهي الخائن، أريهم أنك الملكة الحقيقية التي لا تهاب أحدًا.

- لكن أنا خائفة حقًا، كيف أواجه كل ما أمر به يا تالين؟ أين أنت الآن؟ لا يجب أن تختفي.

فتحت عيني وكنت أمام غرفة كبيرة والحراس يقفون بجانبي يريدون منعي؛ فانتصبت قامتي وتملكتني الشجاعة ودفعت الباب بقوة. ودخلت وإذا بغرفة ضخمة ومنضدة طويلة الحجم تتوسط المكان وداغر يجلس على مقعد الرئيسي وبجانبه رجل مريب، وعندما رآني قال:

- تالين، ابنة أخي.

قلت في عقلي إذًا أنت لاشين المخادع عم تالين الذي لا يأبه سوى لمصالحه وأغراضه الدنيئة، ثمّ لمحت خريطةً كبيرةً خمنت أنها خريطة لحدود المملكة. لأنه عندما رآني داغر أخفاها سريعًا، ثمّ وجهت حديثي للاشين وقلت:

- ماذا تفعل هنا؟

- ماذا تفعلين أنت هنا؟ ألم تتحدد إقامتك في غرفتك؟ داغر، ألم تقتلها كما أمرت؟

كان رده صادمًا، كانت تعلم تالين أن عمها خائن ويريد قتلها؛ لأجل ذلك حذرتني منه، ثم تحدث داغر إليه قائلًا:

- توقف الآن يا لاشين، ليس أنت من يصدر الأوامر هنا؟ أنت هنا ضيف مثلها في قصر قبيلتي وهي من ستقود الحرب معنا.

- ماذا تقول يا داغر؟! أتخالف وعدي معك؟ ألم تقل لي أنني من سيحكم وسأقود المعركة؟ والآن تقول عكس ذلك أجننت كيف هي من سيقود الحرب؟

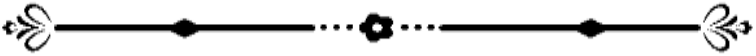

- أنا لم أعدك بأنك ستحكم، بل بمساعدتك كنت ستكون ضمن الملحمة والقصر، وستكون بأعلى المناصب، لكن لم أعدك بأنك ستكون أنت الملك وصوتك لا يعلو في حضوري أفهمت؟ انصرف لا أريد أن أرى وجهك.

- أتخدعني بفعلتك هذه سيكون ثمنها غاليًا.

لا أعلم ما يدور بينهما، لكن هل داغر يدعي أنه بجانبي؟ أم له وجه آخر يخفيه؟ وفجأة اقترب داغر كالريح نحو لاشين وقال له:

- ألم تعرف من تهدد؟ أسهوت من أنا؟ في لحظة سأدق عنقك وينتهي أمرك من أنت أيها الإنسي لكي تهدد داغر؟! مجرد خائن نكرة؛ لطمعك وجشعك خنت أخاك لكي تستولي على المملكة، هل شخص مثلك جدير بالثقة؟

ثم وجه حديثه لي وقال:

- تالين، اذهبي إلى غرفتك، وسآتي إليك؟ تفضلي الآن.

ثم التفت نحو لاشين وقال له:

- أما أنت فدورك انتهى، وستأخذ أجرك سبائك من الذهب، غير قصر بجانب المملكة، وتستطيع أن تعود من النفي وتمارس حياتك كمواطن في المملكة، لكن أكثر من ذلك لا تطمع لكي لا تكون نهايتك أيها الأبله، انصرف الآن.

كنت أتصنت عليهما، لم أخرج مثلما قال داغر، بل وقفت مستترة أختلس السمع في الخارج، وسمعت سديم يقول لوالده:

- لمَ فعلت ذلك يا أبي؟ ألم تعِ حقيقته، لن يترك المملكة وقد يلجأ للعدو ويبوح لهم بما خططنا له؟

- شخصٌ مثل لاشين خائن لا أستطيع الوثوق به، إنه يلجأ للخداع والمكر دائمًا لكي ينال ما يريد، وهذه الخطة مكيدة له ومن يصدقه.

- لماذا كل هذا؟ من أجل إلياس؟ لقد رأيتك وأنت تتفق مع أخي، وهل الاتفاق ضدّ لاشين؟ وما دخل تالين بهذا الحديث؟

- ستعلم أنا لست غبيًا وكل خطوة أخطوها تكون بهدف معين يا سديم، أما عن تالين ستكون معنا في الملحمة إنها البطاقة الأخيرة للحرب الدموية.

- ماذا تقصد يا أبي؟ وكيف هي مهمة؟ إنها إنسية ضعيفة ماذا ستكون فائدتها؟

ثم نظر داغر لسديم وقال له:

- ستعرف كل شيء لكن ليس الآن.

كان حديث داغر ماكرًا لكن ما أدهشني هو إلياس؛ هل اتفق مع أبيه لكي أكون في الحرب؟ وعن أي ملحمة يتحدث؟ وهل يحميني؟ أم يدبر لشيء آخر؟

ثمّ تحركت بخفةٍ مسرعةً، واختبأت أسفل سلالم القصر لأرى أين يذهب، فصعد داغر إلى غرفة إلياس وأنا خلفه أترصده، واختبأت دون أن يراني وتنصّتُ لما يقولان، وإذا إلياس يتحدث في قلقٍ عن تالين ويذكره والده بوعده.

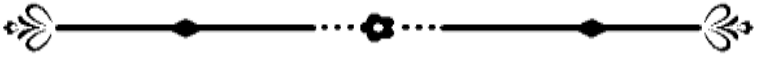

ثمّ يرد عليه داغر قائلًا:

- لا تخف أيها العاشق، محبوبتك بخير، لكن هل وعدك لي ما زال قائمًا؟

- نعم، يا أبي، لقد أقسمت على سلامة تالين مقابل خوضي معك الملحمة والتقدم بشعار قبيلتنا.

- ووعدك الآخر ابتعادك عنها أهم شروط الاتفاق، وعدم مقابلتها أو التحدث معها، وتذهب الآن إلى معسكرنا في البلاد المجاورة؛ لكي تبدأ مهمتك في تدريب الجنود.

- أنا أقسمت لك يا أبي، ولن أخلف عهدي لك، لكن أعطني مهلة لكي أجهز نفسي للرحيل وتوديعها.

- سأعطي لك مهلةً حتى ليلة غد، جهز أمتعتك وغادر من هنا، واعلم يا بني أنني لا أظلمك، بل أفعل ذلك لحمايتك لأنك لا تعرف حقيقة تالين، وهي أيضًا قد لا تعلمها وهذا في صالحنا.

كان حديثهم غامضًا ومريبًا لم يتفقا على تالين ويريد أن يبعد إلياس عنها؟ وما هو سرها الذي تجهله؟ وفجأة همّ داغر بالخروج وذهبت مسرعةً إلى غرفتي قبل أن يلاحظني، هرولت مسرعة لحجرتي وجلست على السرير آخذُ شهيقًا وزفيرًا وأهدئ من روعي؛ لكي لا يدرك تنصتي عليهما، وسمعت طرقًا على باب الغرفة وكان داغر الذي دلف إلى الغرفة قائلًا:

- هل انتظرت كثيرًا يا تالين؟

تحدثت بتلعثم وبجسد مرتعش لكنني تمالكت نفسي وقبضت على يدي بقوة، وغيرت الحديث لكي أشتّت انتباهه وقلت: أريد أن أفهم ماذا يحدث هنا؟ ماذا يفعل لاشين معك بعدما كان في المنفى؟ وما هي الملحمة؟

- مصالح متبادلة هذه سياسة ألم تتعلمي شيئًا أثناء حكمك مع أبيك.

- هذه ليست سياسة بل خيانة وخداع، أبي وأنا لم نسلك مثل هذه الطرق من قبل.

- ما زلت صغيرة لم تفهمي شيئًا، عمك خائن أعرف ذلك لكني لست صيدًا سهلًا، أنا زعيم قبيلة الظلام وعشت أزمنة بعيدة وأعرف ماذا يريد الشخص، لا تستخفي بي.

- لماذا لم تقتلني إذًا كما قال؟ ولمَ تتجاهل حديثي عن الحرب؟ وأي ملحمة سأقودها؟

- أنا لا أتهرب لكن ليس وقته، ويجب أن تعلمي أنك من سيقود معي حكم المملكة يا ملكتي المستقبلية، أما بشأن عمك فإنه غبي، يريد السلطة والحكم مهما كان الثمن، ومثل هؤلاء الأشخاص يسهل أن يهدموا كل شيء بغبائهم.

كنت أريد أن أسأله عن حقيقتي التي تحدث بها مع إلياس، لكني قلقت أن يعلم أنني أتنصّت عليهما، ويرتاب مني ويحترس في الحديث معي، لكنني أريد أن أعلم نواياه الحقيقية تجاهي وقلت بصوتٍ مسموع:

- لا تقل إنّك تريد أن أحكم معك المملكة حبًا لي، أنت تريد شيئًا أكبر بكثير.

- أنا معجب بذكائك، أنت لست مثل عمك الغبي، يريد السلطة والنفوذ يملأ جشعه، لكنّني أعطيت له المال وحريته أنا أعرف طمعه جيدًا لن يكفيه المال فقط، بل سوف يلجأ بأي طريقة حتى ولو كانوا أعدائي مقابل الحكم.

- غريبٌ أمرك تتعامل معه وتعلم ما هي نواياه لماذا تركته إذًا؟

ضحك داغر في سخرية قائلاً:

- تعلمين أسلوب الفأر عندما ينحصر ويدور في كل اتجاه لكي ينجو، لاشين هو الفأر تركته لأشاهده إلى أين سيصل بفعلته، ويسهل عليّ الوصول للأعداء من خلاله.

- إذًا هذه نواياك لكن وأنا ما مصيري أنا وأبي؟

- قلت لك أريدك أن تحكمي بجانبي، وأتعهد لك أنّ شعبك وأباك سيكونان بأمان وهذا قسم داغر العابدين، سأتركك تفكرين في الأمر.

تحرك داغر خارج الغرفة والريبة والقلق بدأ يتغلغ بداخلي؛ لأنني أعلم أنه يريدني لشيء مبهم ومخيف، لكن ليس بيدي حيلة سوى أن أستمع إليه لكي أكتشف كل شيء وأحل الأحجية التي تركتني بها تالين!

ولأنني أسيرة في أرضهم ومصيري في قبضتهم، راح الحزن يطوف حولي متعبدًا، صرير الألم استوطن الأفكار كأنه شبكة عنكبوت تنسج خيوطها،

ظللت حبيسة في تكهناتي التي لا أعلم نهايتها،غرفتي هي وسيلة لتفريغ عما بداخلي، كنت أذهب لأتنفس عما بداخلي واتجهت باتجاه الشرفة فـرأيت إلياس يمتطي حصانه ويهرول مسرعًا، تركت الغرفة وذهبت خارج القصر، وأخذت الفرس الخاص بالحارس دون علمه وامتطيته وركضت خلفه دون أن يراني، واستكملت الطريق الذي كان تحيطه الأشجار وهضاب من الاتجاهين، وتحرك في منحنى طويلٍ بداخل الغابة الذي كان يتصل بنهايته شلال مياه عالٍ، تركت الجواد واستترت خلف شجرة بعيدة عن إلياس حتى لا يتمكن من رؤيتي، لوهلة سمعت صوت صياح عالٍ يصدر منه، ونظرت لأراه كانت حالته بائسة ويجهش في بكاء، ثم انحنى على الأرض ووضع كفيه على وجهه، كنت أرى ما يحدث والحزن يدمي فؤادي واللوعة تحرقني من الحالة التي وصل إليها، وتحركت إليه مهرولة لكي أطيب عنه، لكن على غفلة قفز من أعلى الجبل إلى أسفل بحيرة الشلال، ونظرت إلى الأسفل من علو المسافة أصبت بالذعر عليه، وامتطيت الجواد وهبطت من الجبل، ودخلت للغابة لكي أصل إلى الشلال كنت أسمع أصواتًا غريبة كلما تعمقت أكثر، صوت نباح ممدود لكلاب ناعسة يشبه عواء ذئاب، لكنّني سيطرت على خوفي لكي أتمكن من إنقاذ إلياس، ولا أعرف من أين أتت لي هذه الشجاعة، كنت فتاة غريبة الأطوار وضعيفة والآن أخوض مغامرة وأبحث عن مصاص دماء!

ثمّ وصلت إلى بحيرة الشلال لكنّني لم أعثر عليه، وفجأة سمعت صوتًا غريبًا مثل صوت شخصٍ ينازع لا أعرف إن كان إنسانًا أم حيوانًا، وذهبت باتجاه الصوت وكانت الصدمة مما رأيت!

كان إلياس يهجم على غزالٍ شاردٍ ويتجرع دماءَه بكلّ وحشية، والغزال كان ينازع بصوتٍ عالٍ! لقد أصابتني رعشة واشمئزاز من بشاعة المنظر، ودلفت بضع خطوات للخلف، لكنّني ضغط بقدمي على غصن شجرة، وأصدرت صوتًا فجأة التفت إلياس تجاهي ونظر إليّ بفمه المليء بالدماء، وعينيه اللتين يكسوهما لون أحمر عليها، ثمّ اقترب مني ببطءٍ، كان كلما تقدم خطوة للأمام كنت أخطو للخلف حتى اصطدمت قدمي بصخرة صغيرة تسببت في سقوطي على الأرض، شعرت أنها نهايتي وفي لحظةٍ ما سينقض علي ليشرب من دمائي.

وقام بالاقتراب أكثر وأكثر مني وانحنى وأمسك معصمي لكي أقف، وأصبحت أمامه وكان لا يفصل بيننا شيئًا وقرب وجهه المليء بالدماء وقال:

- أدركت حقيقتي الآن، في لحظة شعرت أنّني سأنقض عليك وأشرب من دمائك؟ هذه حقيقتي أنا مصاص دماء في لحظة جوعي وعطشي أبحث عن أي فريسة؛ لكي أروي عطشي وإذا لم أعثر على فريسة ستكونين أنت فريستي، مصيرنا ليس متشابهًا أيتها الفريسة، من مصلحتك الابتعاد وعدم الظهور أمامي مرة أخرى، ولا تظهري في طريق لا تعرفين مخاطره أفهمت؟ اذهبي الآن.

كنت أنصت إلى إلياس وأنا في حالة اللا وعي؛ مغيبة الذهن من هول ما رأيت وحديثه الجارح الذي سبب لي حالة من الحزن، وتأثري بحديثه وشعرت أنّ التي تحبه هي سيرين وليس تالين، ثمّ تركته وامتطيت الفرس، وذهبت وشرد الذهن أثناء سيري، توقف الفرس في مكانٍ غريبٍ منتصف الغابة لا أعرف؟! لقد ضيعت الطريق الصحيح، ودلفت من على الفرس وأمسكت اللجام وذهبت بطريقٍ آخر في منتصف الغابة، كانت الطرق متعرجة، ربطت الفرس في غصن شجرة لأنه منحدر صعب نزول إليه، وتحركت إلى الأمام بمسافة ليست ببعيدة، وصعدت على المنحدرات وذهبت إلى الجانب الآخر، وأثناء ذلك كانت هناك مجموعة من الرجال الرحالة، قلت هم يعرفون الطريق المنشود سألجأ إليهم، لكن حدث شيءٌ غريبٌ قبل ذهابي إليهم؛ كان الرجال واقفين بجانب الخيل وعلى حين غرة تحولوا إلى ذئابٍ بريّة لها أنياب كبيرة وحجمهم ليس كحجم الذئب العادي، بل أكبر بعشرات الأضعاف! من الرهبة شلت حركتي ولا أعرف ماذا أفعل غير الوقوف صامتةً ومشاهدةً ماذا يحدث، ثم أتت إليهم امرأة في أواخر الأربعين من عمرها، ونظروا إليها وبدؤوا بالانحناء لها في شكلهم المتحول، وكانوا ينظرون لبعضهم البعض، لوقت ليس بطويل كأنّهم يتواصلون مع بعضهم بلغة خاصه بهم، ثمّ تحولت هذه السيدة مثلهم، وكان لونها أبيض مميزًا عن باقي القطيع! قلت في عقلي هذه أكيد أميرتهم من أجل تعظيمها هكذا، ثمّ تفرقوا في طرق مختلفة كنت أتابعهم من على بعد ولا أصدق ماذا يحدث!

لقد انقلب عالمي بعوالم خارجة عن الطبيعة، فتركت المنحدر ودلفت مرة أخرى لكي أهرب من هذا المكان، عند التفاتي للخلف رأيت ذئبًا من القطيع بجانب الفرس يقف أمامي مباشرةً بعينيه الزرقاء كـزرقة السماء، ونظر لي مطولًا وكنت خائفة ولا أستطيع التحرك، لكن الأغرب عندما سمعته يتحدث داخل عقلي ويقول: من أنت؟ تعجبت من فهمي ماذا يقول؟ وقلت له: أنا سيرين، لا تالين أقصد، لكن من أنت؟ لكن الذئب نظر لي باستغرابٍ وقال: كيف تفقهين لهجاتنا؟ كنت أنصت إليه في دهشةٍ، ثمّ سمعت صوت صفيرٍ عالٍ، واختفى الذئب! ووضعت يدي على قلبي في خوف كاد قلبي أن ينخلع من صدري من هول الأحداث التي رأيتها اليوم، وامتطيت الفرس وهربت إلى أن عثرت على الطريق الرئيس لقصر قبيلة الظلام، عندما دخلت إلى القصر اصطدمت بسديم الذي تحدث إليّ بتجهم قائلاً:

- أين كنت؟ وكيف تركت القصر بدون علمنا هذا ليس مكانًا للضيافة أنت أسيرة هنا اعلمي ذلك؟ وأيضًا ليس أمانًا بالخارج لإنسية مثلك ستكونين وجبة دسمة لأي شخص من قبيلتنا.

كنت أنظر إليه ببغض شديدٍ ولم أتحدث معه وتركته وذهبت إلى غرفتي؛ لأن سديم شخص متهور لن يتردد لحظة في إيذائي كنت أحاول تجنبه بكل الطرق.

....

شخص مجهول:

- مولاتي.. مولاتي، لقد حدث شيءٌ مريبٌ اليوم.

- ماذا حدث؟

- لقد خاطرت وتواصلت مع إنسانة وأنا في شكلي الذئب المتحول ولا أعرف كيف؟ وتأكدت أنها ليست مثلنا!

- كيف ذلك؟ ومتى تم هذا اللقاء؟

- بعد اجتماعك لنا عندما اتجهت إلى طريقٍ مختلف عن باقي القطيع.

شخص ثالث:

- ماذا تقول لسيدتي؟ إذًا فعلًا توجد إنسية لكننا عرفنا بها من الرائحة؛ لكن لم تصدر أي رائحة إنسان قريب منا.

- كفى أنت وهو أيعقل أن تكون هي كيف ذلك؟ وماذا تفعل في أرضنا؟ تحدث أين اتجهت؟ وماذا قالت لك؟

- اتجهت إلى الطريق الرئيسيّ، لكن لم أعرف أين ذهبت؛ لأنه كان موعد تجمع القطيع وقالت اسمي تالين.

- تالين، ماذا تفعل هناك؟ أيعقل الطريق الرئيسي لكن لا يوجد غير طريق حدود قبيلة الظلام لا أصدق كيف تكون هناك؟! يا ويلي إنها النهاية!

....

في هذا اليوم لم أستطع أن أغفو من هول ما حدث لي، كان يومًا حافلًا من الصدمات والأشياء الغريبة الخارقة عن الطبيعة، ثمّ غفوت بصعوبةٍ بالغةٍ، في اليوم التالي كانت هناك تحركات غريبة في القصر أفقت على صوتها، واقتربت من الشرفة رأيت تجمعات من القبيلة وسديم وداغر يودعون إلياس، هرولت مسرعةً إلى الأسفل وخرجت خارج القصر، وكان إلياس يقبل يد أبيه، ثمّ نظر إليّ مطولًا وتبادلنا النظرات الحزينة التي تحمل حبًا محتومة نهايته، فاقتربت منه قائلة:

- أين تذهب؟

- إلى باحة التدريب؛ لأنني أصبحت القائد الجديد.

- ومتى سوف تأتي؟

- لا أعلم، قد لا آتي مرة أخرى بسبب أوضاع المملكة.

- وكيف سوف أتواصل معك؟

- أظن أنّ ما حدث ليلة أمس كفيل بألّا أراك مجددًا وهذا لمصلحتك ألا ترين ذلك؟

امتلأت مقلتا عينيّ بالدموع وكادت تسقط، لكنني تماسكت وتذكرت ما حدث وكرهت نفسي أكثر مما كرهته للتفكير به حتى الآن بعد ما حدث، وتركته وذهبت لكنه استوقفني وقال:

- انتظري يا تالين.

وأمسك بيدي وأعطى لي ورقة بردية قديمة وقال:

- اقرئيها عند ذهابي، الوداع.

ركضت بعيدًا وجلست بجانب البحيرة الصغيرة التي تتواجد في القصر وفتحت البردية، كانت رسالة من إلياس وكان محتواها كالتالي:

"عزيزتي تالين، أعلم مقدار الألم الذي سببته لك، لقد كرهت نفسي على فعلتي معك، لكن كان يجب أن تكرهيني وتبتعدي عني. نعم، كنت أعلم أنك تراقبيني، وشعرت بك عندما كنت قادمة نحوي، علمت أنك لن تتركيني أو تبتعدي عني إلا هكذا، وأن تري وجهي الآخر؛ لهذا اصطدت الغزال الشارد وارتشفت دماءه عند اقترابك مني، وتملكني الحزن وكرهت ذلك عندما رأيت رهبتك وخوفك، لكنها أنسب وسيلة لإبعادك وحمايتك، ستتفاجئين بفعلتي المتناقضة كيف أكرهك فيّ، وأكتب لك رسالة أبرئ ذمتي، لكن لم أستطع أن أذهب دون معرفتك الحقيقة، وكتبت لك هذه الخطاب لكي لا يزيد كرهك لي وأيضًا لا أعلم إذا كنت سأراك مرة أخرى أم لا؛ لأنّ هذه لحظة وداعي لك هي نهاية علاقتي بكِ وحبّي الذي لم يكتمل، الوداع يا حبيبتي تالين."

....

كنت أجهشُ وأنا أقرأ الرسالة قلت: أيعقل أنّني أحببتُ إلياس؟! لكن تالين هي التي تحبّه ليس أنا، لمَ يحدث لي كل ذلك؟! وإلياس كيف يأخذ هذه الخطوة دون أن يتحدث معي أولًا؟ هو ضحى من أجلي لكن هو يحبّ من؟ أنا أم تالين؟! لكن أنا أحبّه بالفعل، ماذا أفعل الآن لقد تركني ولن

أراه مرة أخرى. ثمّ قطع شرودي الحرس الذي بعثه داغر للذهاب لرؤيته في غرفة الاجتماعات، واستعدت شتات نفسي من حالة الحزن التي أصابتني ودلفت للحجرة، فرأيت داغر يفرد خريطة كبيرة بحجم المنضدة حتى اختفت ملامحها، ثمّ تحدث إليّ متسائلًا معرفتي هذه الخريطة؟

نظرت في صمتٍ ولم أعلم ماذا أقول، ثمّ قال داغر:

- هذه خريطة حدود المملكة ماذا أصابك؟

استكملت بشرودٍ وذهنٍ مشوش نعم.. لا شيء، إنّها هي حقًا خريطة الحدود، لكن ما هذا الخط الطويل باللون القرمزي؟

- هذا الخط الفاصل بين حدودنا وحدود العدوّ، وهي أرض المنحدرات بالضبط في هذه النقطة وهي تقع خلف الغابات.

وقلت في عقلي إنّها الأرض التي ذهبت إليها من قبل.

- هنا يا تالين، تقع أرض العدو وهم يردون التخلص من المملكة وبني جنسنا والجنس البشري أيضًا.

- ولمَ يفعلون ذلك؟

- إنّهم الذئاب يا تالين، يقع وادي الذئاب بالقرب من المنحدر، وهم أعداؤنا وهذه هي قبيلة راجدان التي تحدثت عنها من قبل معك.

- الذئاب هم قبيلة راجدان؟

شعرت برعشةٍ تسري في جسدي عندما سمعت اسم القبيلة وقلت في عقلي: هل أبلغ داغر ما حدث معي؟ وأنني قابلت واحدًا من قبيلة راجدان

وتواصلت معه؟ لكن أنا لا أعرفهم واكتفيت بأن أستمع لما يقوله في صمت؛ وذلك لعدم ثقتي به، ثمّ استكمل حديثة أنّ الجواسيس أبلغونا، بأنهم يريدون التخلص من الجنس البشري ومن أبي أيضًا؛ لكي يستولوا على الحكم وبهذه الطريقة سوف نشن الحرب ضدهم وأنا معهم، اتسع شدقاي في بلاهة وقلت:

- حرب! وأنا سأكون معكم! هل سأحارب؟

- نعم، لمصلحة بلادك.

وعلى غفلة سمعت شخصًا من الخلف يقول:

- نعم، يا تالين، داغر يقول الحقيقة.

التفت لأرى، وإذ برجلٍ كهلٍ وعندما رآني أسرع إليّ عانقني وقال:

- اشتقت لك يابْنتي، هل أنت بخير؟ أأصابك شيء؟

ثمّ قلت في عقلي: إنّه الملك والد تالين، كان بشوش الوجه مريح القلب، ونظرت له وقلت:

- أنا بخير، سمعت أنّ المملكة حوصرت واحتلت من قبل قوى مجهولة، هل أصابك شيء؟

- أنا بخير يابْنتي، لقد ساعدني داغر وأنقذ حياتي من المكائد التي تحدث ضدد المملكة، ومن أخي، ومن قبيلة راجدان.

رمقته في حالة من عدم الاستيعاب، قلت هل يجهل حقيقة قبيلة راجدان والظلام؟

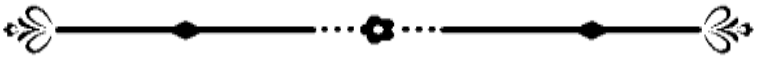

- أريد التحدث معك بمفردنا؛ لقد اشتقت إليك وأريد التحدث عن أمورٍ كثيرةٍ.

وكان داغر ينظر لي بابتسامة زائفة ورد قائلًا:

- سأترككم الآن، ولا تنسي يا تالين، وجودك مهم جدًا خلال الأيام القادمة.

- تالين ابنتي، أأنت بخير؟! هل اقترب منك أحد من قبيلة الظلام؟

- جلالة الملك، هل تعلم حقيقة قبيلة الظلام؟ ومن هم؟!

- أنا والدك يا تالين، هل أنت غاضبة لكي تقولي هكذا دائمًا تقولين جلالة الملك في غضبك؟ هل تعتقدين أني تركتك ولم أسأل عنك؟!

-لا أقصد ذلك يا أبي، أنا لست غاضبة منك لكن هل تعلم حقيقتهم؟!

رمقني في حزنٍ وتحرك باتجاه الشرفة، وبدأ يسرد أنه منذ زمنٍ طويلٍ، أجداده خاضوا حروبًا ضدهم، لكن دون جدوى حتى تمكنوا أخيرًا من عقد اتفاقية بين الجنس البشري وقبيلة الظلام وقبيلة راجدان؛ وهي عدم التعرض لهم، وأنّ قبيلتهم تنعزل عن الجنس البشري، ولا تتدخل في شؤونهم ولا يعرف عنهم أحد من بني جنسنا، وهكذا كانت الاتفاقية منذ زمنٍ بعيدٍ. فقاطعت الملك محدثة له: ماذا جد ليحدث ذلك؟

فشردَ لبرهة من الوقت، ثمّ استكمل منذ خمسة وعشرين عامًا، أحبّ رجلٌ ذو مقامٍ كبيرٍ في الدولة فتاةً من قبيلة الذئاب، وتزوجها دون أن يعلم ما هي حقيقتها، لكن عندما اكتشف هويتها بغضها وطردها من حياته،

وبعد وهلة علم بخبر وفاتها ومن هنا بدأت قبيلة الذئاب بالظهور هي وقبيلة الظلام، لطالما كانوا على خلافٍ منذ عقودٍ، لكن من سنواتٍ بدأت تظهر حالات قتل رهيبة في المملكة والقتل ليس قتلًا عاديًا، كنت أنصت له كيف كان القتل يا أبي؟ أليس من فعل بشري أتقصد هذا؟

- نعم، يابْنتي، واستطرد: إنّ الحادث الأخير مخيفٌ جدًا عندما ظهرت جثة رجل فقير نصفه متآكل مخضبه بالدماء الوحشية، وهذا من فعل الذئاب، وبعد ذلك قرروا عقد اجتماع سريّ من أجل شؤون البلاد، وهو اللجوء لقوة بديلة تكون بحجم قوة قبيلة راجدان، وكان الاقتراح لداغر حاكم قبيلة الظلام؛ لأنهم الأشخاص الذين يستطيعون حمايتنا، وكان شرط داغر هو تقسيم سلطة الحكم بيننا ليكون له الأمر والنهي، رمقته بحدّة، إنه كيف قبِلَ شرطهم،ثمّ رأيت نظرة الحزن والانكسار وأنه ليس بيده حيلة، بسبب عمي الخائن قد سلم لهم جميع المعلومات عن القصر وخريطة البلاد، وأيضًا أنا كنت بحوزتهم لكن داغر قال له بأنه أخذني ليحميني؛ لأنني مستهدفة للقتل، اقتربت منه ورتبت على منكبيه، وحدثته أنّ الأوضاع بأكملها مريبة، لا تثق في داغر لقد ضغط عليك لكي يستولي على الحكم هو وقبيلة الذئاب المريبة، تعلم يا أبي، حدث لي شيء غريب مع هذه القبيلة...

- ماذا؟! هل رأيت أحدًا من هذه القبيلة؟! هل فعلوا بك شيئًا؟ تكلمي.

- لا، يا أبي، لا تقلق أنا بخير، لكنّني رأيتهم عند منحدرٍ مع ملكتهم.

ثمّ قصصتُ لأبي كلّ ما حدث معي، لكن نظراته كانت مخيفة والعرق، بدأ يتساقط على جبينه واحتل معالمه التوتر والقلق، كأنّه يخفي شيئًا تجهله تالين، ثمّ قال لي:

- يجب أن تذهبي معي الآن إلى المملكة، وجودك هنا خطر أنت ساذجة ومميزة، قد يستغل أحد ذلك أفهمت؟ سأتحدث مع داغر الآن، لا أعرف لماذا أصابتني خيبة الأمل والحزن عندما ذكر أبي أمر الذهاب من هنا؛ لقد كنت آمل أن أرى إلياس مرة أخرى.

وتركني أبي وذهب ليرى داغر، كنت أجلس شاردة وأفكر في إلياس، ثمّ سمعت صوت صياحٍ عالٍ، فخرجت من الغرفة باتجاهه وكان داغر يقول لأبي:

- ماذا تريد يا جبران؟

- اسمي الملك جبران يا داغر، أريد الذهاب من هنا أنا وابنتي.

- لماذا تريد الذهاب؟ وأين سوف تمكث؟ ألا تعلم أنّه آمنُ مكان لك ولابنتك هنا؟

- آمنُ مكانٍ بجانب قبيلة مصاصي الدماء لا أظن ذلك!

- لو أردت أن أدق عنقك أنت وابنتك لفعلت، ألا ترى ذلك؟ واعلم أيضًا أن مملكتك تحت سيطرتي، وقبيلة راجدان منتشرة هناك، ويجب أن نضع الخطة المناسبة للحرب وابنتك جزء مهم منها.

-لا تدخل ابنتي في هذه الحروب، أنا سوف أساعدك بكل شيء تحتاجه، لكن أبعدها عن هذه الملحمة، هي محاربة لكن ليس لديها قوة مثل قوتكم.

- أكاد أصدقك، ألا تعرف ابنتك؟ وما هي حقيقتها؟

- ماذا تقول أنت؟ عن أي حقيقة تتحدث؟

- أعتقد أنك شخص ذكي وسوف تفهمني سريعًا، أنصت لي يا جبران، أنا لست شخصًا غبيًا، وابنتك حياتها في خطر، وبمجرد معرفة حقيقتها من قبل الأعداء سوف ينتهي أمرها، يجب أن تساعدنا في القضاء عليهم قبل أن يتمكنوا من المملكة، وتكون أنت وابنتك فريسة لهم، أسهوت عمّا حدث في الماضي؟! كان هناك اتفاق بيننا وأنت وافقت عليه.

- كفى يا داغر، اصمت الآن قبل أن يسمعنا أحد، سأمكث هنا مثلما تريد، لكن إذا حدث لابنتي شيء لن تكفيني قبيلتك بأكملها.

كنت أنصت شاردةً ما يقوله، لم أفقه شيئًا شعرت أنّ بينهم سرًا خطيرًا خاصًا بتالين وقلت: وما هي علاقتها بقبيلة راجدان؟ وما السر الذي يهدد داغر به جبران؟ ودلفت إلى غرفة الاجتماعات كما كنت ثم أتى أبي إليّ حزينًا ينظر مطأطئًا رأسه وقلت له:

- ماذا بك يا أبي؟ هل سنذهب من هنا؟

رمقني بخجل رافضًا وأنه آمنُ مكان لنا مثلما قال داغر، يجب أن ننتظر حتى تهدأ الأوضاع؛ لأنّ حياتي في خطر، ويجب ألا أترك القصر؛ لأنّنا لا نعلم

ماذا يحدث بالخارج من قبل قبيلة راجدان وداغر سيحمينا من بطشهم، غضبت من ردة فعل أبي، قلت بصوتٍ جهوريّ: ما مصير الشعب والمملكة؟ هل سنتركهم ونهرب؟

- لا، يابْنتي، قبيلة الظلام هناك توقف زحف قبيلة راجدان، والحرب ستقام لكن ليس من شعبنا؛ لأنّه ليس هناك مثل قوة داغر وجيشه هو سوف يؤمن شعبنا.

كنت أرمق جبران بحدّة، وأنا أعلم أنه يكذب، وهناك شيء مخيف بينهم تجهله تالين، تركته وذهبت إلى غرفتي وغفوت وسمعت صوتًا ينادي تالين، أفقت ورأيتني أقف في الغابة، وهناك سيدة تقف من مسافة بعيدة مموهة الملامح وشعرها أسود طويل وبه خصلات بيضاء ينسدل على خصرها، فاقتربت بسرعة مهولة نظرت إليّ واتضحت ملامحها، وأردفت قائلة:

- أخيرًا أتيت، لقد انتظرتك كثيرًا.

وكانت هي السيدة التي تحولت لذئبٍ أبيض وترتدي فستانًا أبيض اللون، كانت في وضعية قريبة من أذني تحذرني وتنبهني أنّ الأعداء أمامي، وأنني فريدة من نوعي، وسيقتلوني، لكنني قطعت ذلك وقلت: أنا سيرين لست تالين، ثمّ وضعت كفيها على وجنتي قائلة:

- لا يفرق، أنت وهي ستصابان بالأذى نفسه.

كنت في رهبة من حديثها، وابتعدتُ عنها خطوتين للخلف، ماذا تقصدين بذلك؟ ومن سيسبب لي الأذى؟

- ستعلمين قريبًا، لكن أنا هنا لحمايتك.

شعرت بأريحية في حديثها، وفجأة قالت:

- احذري يا تالين، إنه خلفك.

وإذا بشخصٍ يطعنني بسكينٍ من الخلف وعندما التفتُ لأرى كان إلياس!

أفقت من النوم، وأنا في حالة من الخوف والاضطراب، إنه الكابوس نفسه الذي كان يراودني في عالمي هل يطاردني هنا أم له علاقة بتالين هل نهايتي ستكون مثلما قالت ملكة الذئاب! أيعقل أن إلياس يحاول أن يقتلني، لكن ماذا قصدت بقولها سيصيبني الأذى نفسه؟ هل لأنني في جسدها؟ ماذا يحدث؟ يجب أن أخرج من هذا الجسد؟ كيف سأخرج من هذه البؤرة الزمنية؟! أين أنت يا تالين؟ ثم سمعت صوت تالين في عقلي يقول: اذهبي إلى الغابة، إلى وادي الذئاب هناك الحقيقة!

وفعلًا تركت القصر، وامتطيت الجواد بأقصى سرعة، ودخلت الغابة وتركت الخيل موثوقًا بغصن شجرة ما، وذهبت في الطريق المنحدر، وبدأتُ في السير لمسافةٍ بعيدةٍ، كنت أتقدم وأنا في حالة من الخوف لا أعرف ما المصير الذي سأقابله؟ ثمّ عثرت على كهفٍ مغلقٍ بمجموعة من الأشجار بحيث لا يظهر ما خلفها، أزلت تلك الأشجار ودخلت الكهف، وكان مظلمًا، فأشعلت نارًا في المشعل الذي كان معلقًا في المقدمة، أدى إلى اتصاله بالكهف بأكمله، وأنرته كأنّهم في ترابط وكان يحوي على رسومات غريبة لمصاصي الدماء القدماء، وهم يمتصون دماء بني البشر، وآخرون يلجؤون للحيوانات،

وتوجد رسمة أخرى منحوتة للذئاب، وهي تعوي وتلتهم أشخاصًا، وأخرى مرسوم عليها حرب سوف تقام بينهم ويذهب ضحيتها أعدادٌ كبيرة. تقدمت أكثر في الكهف فإذا برسمة منحوتة بشكلٍ متقنٍ لشخصٍ يمسك في يديه رمحًا وينظر له بانتصار، وعلى جدران الكهف مكتوب: لنهاية اللعنة يلزمها تضحية كبرى من أميرة الذئاب، وأن تؤيد العهد من جديدٍ الذي نكسه أجدادنا فيما مضى، وأن تنهي تلك الحروب الأزلية، وأنها لن تنتهي إلا بكثرة الدماء على أرض البلاد. لم أفهم شيئًا لكن الكهف يوضح الصراع بين القبيلتين: الظلام وراجدان، لم أستوعب هذا النقوش، وتركته وخرجت إلى الخارج وإذا بذئبٍ تسقط من فمه الدماء، وينظر إليّ بحدةٍ ويقول:

- مصيرك على يدي، سأنال جائزة بقتلك.

من الصدمة أصابتني رعشة في جسدي، وبدأت أخطو خطواتٍ للخلف بصعوبة وتصلب، وقلت له:

- ما الجائزة التي ستنالها؟

وفهم ما أعنيه، وبدأ بالاقتراب أكثر ورفع يده للأعلى وتسلق الشجرة وقفز على الأخرى ليصل إليّ، وعندما رأيت ذلك ركضت بسرعة بالغة وهو خلفي، واختبأت خلف شجرة كبيرة للراحة ولألتقط أنفاسي، وتنفست الصعداء من الركض، ثمّ سمعت صوت زمجرةٍ يأتي من أعلى ولم أستطع التحرك، ونظرت لأعلى فإذا بزلالٍ ودماءٍ تسقط على وجهي! فصرخت بصوتٍ عالٍ فإذا

يسقط الذئب من أعلى الشجرة مصابًا بسهمٍ! فنظرت حولي وإذا بإلياس هو الذي أصابه، وفرّ الذئب هاربًا واختفى عندما رأى إلياس الذي أسرع إليّ في خوفٍ وقال:

- هل أنت بخيرٍ؟ أأصابك شيء؟ لمَ أتيت إلى هنا؟ وكيف أبي تركك تخرجين خارج القصر ويعرف أن حياتك في خطر؟!

نظرت لإلياس في حبٍ وأقدمت عليه وعانقته وقلت له:

- كيف أتيت إليّ وعلمت أنني بخطر؟!

- لقد شعرت بك يا حبيبتي، عندما كنت في معسكرات خاصة بنا نقوم بتدريب جنود قبيلتنا، أصابني قلق عليك، وشعرت أنك بخطر وهذه موهبتي؛ الإحساس بالخطر بالأشخاص الذين أحبهم، وذهبت بأقصى سرعة ركضًا إليك مثل الآن يوجد خطر أيضًا عليك أشعر بذلك.

وابتعدت عنه وقلت:

- لكن الذئب أصيب لا يوجد خطر آخر علينا.

وإذا وأنا أتحدث إلى إلياس يأتي سهم من الخلف ليخترقه، فيقع مستندًا عليّ فاقدًا الوعي! ثمّ جاء أشخاصٌ مخيفو الشكل، يضعون الألوان البيضاء على وجوههم، وبدؤوا يتجمعون حولي، وأنا في حالة بلاهة مما يدور وممسكة بإلياس لأحميه، وبدؤوا يرسمون دائرة حولي ويهللون يركعون على أقدامهم أمامي ويرددون كلمات مبهمة لا أعرفها، ثمّ حملوني أنا وإلياس على ظهورهم وصحت عليهم: ماذا تفعلون؟ أين سنذهب؟ لكنّهم لا ينصتون إليّ، وصلنا

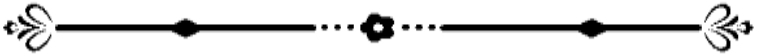

للضفة الغربية للنهر، وكانت هناك زوارق ليست كبيرة، وبدؤوا يصعدون عليها ووضعوني بداخلها أنا وإلياس، وخاطبت شخصًا منهم وقلت:

- أين سوف تأخذونني؟

- سوف تعلمين كل شيء عندما تذهبين إلى هناك؛ إنّها تريد رؤيتك.

- من التي تريد أن تراني؟

- قلت لك ستعلمين عند وصولك يا أميرتي.

شعرت بالريبة مما يدور، وعلى إلياس الفاقد للوعي بجانبي ولا يفيق زاد قلقي عليه. كنا نسير بالزورق في طريقٍ بين جبلين هيئتهما كانت بديعة، واحد منهم على يميني والآخر على يساري والنهر في المنتصف، لم أرَهم من قبل، ثمّ ظهر كهف مظلم فصحا قائدهم قائلًا:

- سوف نعبر الكهف الآن، احترسوا من أي صوتٍ تسمعونه إنه خيالات لا تنصتوا لها.

خفت مما يقول وبالفعل عبرنا الكهف، وكان مظلمًا لا أرى كف يدي من ظلمته، ثمّ سمعت صوتًا ينادي باسمي، كان مثل صوت السيدة التي حلمت بها! وبدأت ألتفت يمينًا ويسارًا وتحدثت:

- أين أنت؟

- اهدئي يا أميرتي، أنا قلت لك إنه وهم هذا سحر الكهف، أرجوك لا تذهبي مع الأصوات.

أنصت لما يقوله الرجل، لكن حدث أمر مريب، الصوت تحدث إليّ مرة أخرى وقال:

- لو ذهبت ستصدمك حقيقتك، وستنكشف الخبايا!

تحول الصوت إلى ضحكاتٍ عالية جدًا من علوها وضعت يدي على أذني وأنا في حالة ذُعرٍ وتوجسٍ من المصير الذي سألقاه، وقلت بصوتٍ عالٍ:

- كفى اصمتي.

وبعد عناء أخيرًا خرجنا من الكهف المظلم، وإذا بجزيرة من عالم الخيال أشجارها قرمزية، وطيور غريبة الشكل واللون! والنهر كان لونه أزرق شفاف من جماله تستطيع أن ترى الأسماك بألوانها الغريبة تبحر معك وتطير أيضًا، شعور راودني أنني في جنة ولست بجزيرة عادية من جمال المنظر الخلاب، أصيب رأسي بالدوران، ثمّ تركنا الزورق، وبعض من الرجال أخذوا إلياس بعيدًا، ثمّ قال الآخر:

- أخيرًا يا أميرتي، وصلت إلى وجهتك وما تنتمين إليه، قبيلتك بانتظارك.

- لا أفهم، أنا لست كما تعتقد، أرجوك أريد الذهاب من هنا، أين إلياس؟ هل هو بخير؟

ثم سمعت صوتًا من خلفي يقول:

-لا تخافي يا تالين، إلياس بخير.

التفت لأنظر والمفاجأة أنها هي أميرة الذئاب والمرأة التي حلمت بها! اقتربت منها بضع خطواتٍ وقلت:

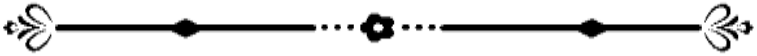

- من أنت؟ وماذا تريدين مني؟

رمقتني بحب وابتسامة خافتة ظهرت ثغرها وقالت:

- أنا أمك يا تالين، لقد اشتقت إليك يابْنتي الصغيرة.

- أنت امرأة خف عقلها، كيف تقولين ذلك؟! أنا أمي توفيت منذ زمنٍ لمَ تقولين مثل هذا الهراء؟! وكيف تكونين أمي وأنت من الذئاب ورأيتك تتحولين مثلهم؟

تفوهت هذا الحديث، ثمّ قلت: لمَ تحدثت ذلك؟ كيف علمت أن أم تالين توفيت؟ ماذا يجري هنا الأحداث تتصاعد بالفعل؟ أيعقل تالين مستذئبة وليست مصاصة دماء؟ إذًا كيف ذكر أنّها الخالدة؟ أين أنت الآن تضعيني في هذا المأزق وتهربين؟ ثمّ نظرت أميرة الذئاب إليّ واقتربت بضع خطواتٍ ووضعت يديها على وجنتي، وقالت:

- لهذا السبب أنت ابنتي؛ لأنك أيضًا تنتمين إلى قبيلة الذئاب يابْنتي الصغيرة، انظري هذه هي قبيلتك أنت الأميرة القادمة بعدي.

والتفت لأتفحص الجزيرة التي كانت بيوتها مصنوعة من الطين، والرجال هناك يرتدون عباءة قصيرة من الصوف، والنساء يرتدين قطعة واحدة كبيرة من الصوف، يلتففن بها أجسادهن بأكملها، ولا يظهر منهن شيء سوى جزءٍ من مناكبهن. شعرت بقبضة قوية تتمسك بأنامل، وكانت أميرة الذئاب التي دلفت بي بداخل أحد أضخم البيوت في الغابة، وهناك رأيت ستائر بيضاء اللون والشمس كانت تقتحم الغرفة لتنيرها بأكملها، والجدار

كان موضوع عليه خمس صور مرسومة بجانب بعضهم لسيدات مجهولات الهوية، عندما رأتني أميرة الذئاب أنظرُ إليهن بتفحص، قالت:

- إنهن أميرات قبيلتنا السابقات، كل واحدة منهن حكمت قبيلتنا منذ زمن، واحدة تلو الأخرى وهذه صورتي الأخيرة.

ورأيت إطارًا مرسومًا لكنه فارغ، ونظرت إليها متعجبة وقلت:

- ماذا يوجد هنا؟

- هذا مكان صورتك يا تالين، يا أميرتنا المستقبلية.

- أنت مخطئة، أنا لست أميرة الذئاب، ولا أملك قواهم ولا أعرفك.

- اسمي نادين والدتك يا حبيبتي، هل والدك لم يذكر اسم أمك؟

نظرت إليها ولا أعرف ماذا أقول، وفضلت الصمت، ثمّ أكملت حديثها قائلةً:

- يابْنتي، أنت لا تمتلكين القوة الآن؛ لأنّها لن تنشط إلا بطقوسٍ معينةٍ، ولا تخافي إلياس بخير حتى الآن أنا أعلم أنك غاضبة؛ لأنني تركتك في طفولتك، وأعلم أيضًا أنه قيل إنني توفيت لكن بسبب ما حدث ليس بيدي.

- ما الذي حدث؟

- كنت الفتاة الوحيدة من قبيلتي التي أحبت إنسانًا، وليس أي بشري ابن حاكم البلاد، لكنه لم يدرك حقيقتي كنت أظهر له على أنني من أسرة نبيلة لـحبي له، وعندما قررنا الزواج هربت من قبيلتي، لكن بعد حملي بك،

قبيلتي اكتشفت فعلتي وأتوا إليّ وهددوني أن أعود إلى القبيلة؛ لأتجنب المشاكل معهم وأيضًا حياة أبيك وأنت كانت في خطر. قلت إنّ أباك ذو منصبٍ كبيرٍ ولا أخاف منهم، وقررت أن أتحدث معه بالحقيقة، لكن لم أتوقع رد فعله هكذا والخذلان الذي قابلته منه؛رفضني واتهمني بالخداع، وقال: أنتم قوم ملعونون، وأن بمجرد إنجابي لك سوف يأخذك ويتركني أعود لقبيلتي مثلما كنت، لكن أين أذهب وسوف يقتلونني؛ لأنني لم أمتلك قوة الذئاب مثلهم، أنا بشرية ضعيفة..

- ماذا فعلت بعدها؟

- قررت الهروب بك عندما علمت نوايا والدك، وفي ليلة مظلمة تمكنت من الفرار من قصره، لكن لسوء حظي قابلته وكان السبب في تعاستي.

- من هو؟

- داغر سيد قبيلة الظلام، ظهر لي هو وأعوانه وأمسكني من عنقي وقال: أنت الجائزة التي سوف أنالها من الملك. وخطفني وقام باحتجازي في زنزانة قصره، وأبلغ أباك لكي يعقد اتفاقية معه، كنت أنت يـابْنتي المقابل في سبيل أغراضه الأنانية والاستيلاء على البلاد! وأنّ أول خطوة يخطوها هي ظهور قبيلته في العلن، وأن يمارسوا حياتهم ويتحكموا في حركة البيع وحق الامتلاك في أراضي البلاد. من هنا كانت خطوة الاحتلال وفرض سيطرتهم عليها وقتل سكانها الأصلين وادعائهم للبراءة، وأنهم يحموننا من القتلة وقطاع الطرق...

- أعلم جيدًا هذه أساليب المحتل، لكن هل وافق أبي على مطالبهم؟!

- للأسف يابْنتي، كنت سجينة لديهم حتى موعد إنجابي لك، وعندما أتيت أخذوك دون أن أراك وأعطوك لوالدك، وقالوا له إنني توفيت أثناء إنجابي. أخذك والدك دون أن يتحمل العناء ويتأكد من الحقيقة، وأنا أصبحت سجينة لديهم لمدة ثلاث سنوات في بكاء وحسرة على فراقك يا حبيبتي، وتمكنت أخيرًا من الفرار من سجنهم، لكني قتلت شقيق داغر الذي كان مسؤولًا عن حراستي في ذلك اليوم، ومن هنا امتلكت قوة الذئاب، وأصبحت أميرة الذئاب، وكرست حياتي لمحاربة قبيلة الظلام بعد معرفتي أنهم قتلوا جميع أفراد عائلتي؛ لكي يقضوا على قبيلتي.

- أنت امتلكت القوة عن طريق قتل فرد من قبيلة الظلام، ماذا تريدين الآن؟

- هذا مصير أميرات قبيلتنا؛ ولهذا السبب تكون دائمًا مستهدفة من قبيلة الظلام، يجب أن تمتلكي القوة وتقتلي الأعداء، داغر يريدك في الحرب لصالحه؛ لأنك أميرة الذئاب وتنتمي إلينا وتستطيعين التواصل مع جميع أفراد القبيلة وتخضعينهم بأمرٍ منك، لكن لن يتحقق ذلك حتى تصبحي ذات قوةٍ وسلطةٍ كاملةٍ يا أميرة الذئاب.

تحدثت في عقلي: ماذا يحدث؟ أنا فعلًا استطعت التواصل العقلي لكن أنا لست تالين، وتحدثت بصوتٍ عالٍ:

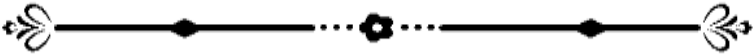

- أنا لست مثلكم ولن أصبح أبدًا، حربكم لا دخل لي بشأنها، أنا لن أقتل أحدًا.

-هل هذا بسبب مصاص الدماء الذي تحبينه؟ ثقي بي لا عهد لهم، سيغدر بك إلياس يومًا ما، ولن تصبحي اختياره الأول بل الأخير؛ لأنّ عشيرته ستكون دومًا في المقام الأول يا تالين، أنا والدتك وأخاف عليك مما سيحدث وهذه الملحمة ستكونين فيها ليس باختيارك، لكن بالإجبار هذا مصيرك.

- تحدثت بحدة وبصوتٍ عالٍ: لا، ليس مصيري، وإذا مثلما تقولين سأغيره حتى لا يحدث سفك للدماء، أين إلياس الآن؟

- في حوزتنا، سوف ترينه لكن راجعي قرارك واحسمي مصيرك، أنت محاربة ويومًا ما ستقفين ضد الظلم، وفي هذا الوقت ستدركين من أنت؟ وأين المكان الذي ستقفين فيه؟

-أعدك يا نادين، لن يأتي هذا اليوم، وأرجو منك أن تكوني معنا وتنسي الماضي وسيكون لك مكان بيننا.

- الوقت قد فات يا عزيزتي على هذا الحديث، لكن أنا بجانبك في أي وقتٍ تحتاجين إليّ، لكن احترسي من إلياس لأنه ابن داغر، وإذا حان الوقت لكي يخونك اقتليه، وسوف ستصبحين أميرة الذئاب وستجدين مكانك هنا بيننا.

- أعدك يا نادين، لن يأتي هذا اليوم أبدًا وداعًا.

تركتها وذهبت للخارج لكي أطمئن على إلياس، لكنّ رجال القبيلة متمسكون بطقوسهم المريبة عندما رأوني وقفوا صفًا واحدًا، وبدؤوا بالركوع لي قائلين:

- السمع والطاعة إلى ملكتنا الموعودة التي سوف تقودنا للملحمة الكبرى. (عشتار المحاربة)

رمقتهم في غضب ولم آبه لما يتفوهون به، ودلفتُ مسرعة خلف نادين لأرى إلياس الذي كان في غرفة شبه مظلمة موثوقًا بحديدٍ في منتصف الغرفة وفي حالة إغماء، ثم قلت:

- ماذا تفعلون به اتركوه الآن!

- لا تقلقي، إنها نبتة القرنفل والثوم لتجعله في هذه الحالة لكي لا يتمكن من النيل منا، سيصحو بعد قليل لأن مفعوله سينتهي خلال خمس ساعات، لكن لا تتحدثي مع أحد حول حقيقتك، وأنك تعلمين شيئًا حتى إلياس أفهمت؟ لسلامتك عزيزتي، لكي لا يسعى أحد لقتلك، الآن ستصعدين أنت وهو المركب وسيوصلك مكان ما أتيت منه الوداع يا حبيبتي، قبل ذهابك أريد سماع كلمة أمي منك يا حبيبتي الصغيرة، لعلّ الأمل يتجدد بداخلي في لقائك مرة أخرى.

كنت أنصت لنادين وحديثها أثّر فيّ كثيرًا؛ لأنّ قصتها مؤلمة حقًا، يا ليت تالين تعرف الحقيقة هنا لترى والدتها التي افترقت عنها منذ الصغر. وذهبت تجاه المركب لكنّني التفت مرة أخرى إليها وقلت: الوداع يا أمي،

كانت في سعادة عارمة وتركتها وصعدت الزورق وإلياس خلفي محمولًا من قبل القبيلة فاقدًا للوعي، ووضعوه بجانبي لكنني انتابني شعور غريب أنني سأعود إليهم مرة أخرى! رغم ذلك شعرت بأريحية بينهم كأنني أنتمي لهذا المكان! ووصلنا إلى شاطئ النهر، وبدأت أُوقظ إلياس وقال:

-أين أنا؟ وكيف وصلنا إلى النهر؟ أأنت بخير يا تالين؟ هل أصابك شيء؟ ماذا يحدث هنا؟

- لا يوجد شيء، أنا سعيدة برؤيتك، كنت قلقة عليك لأنك فقدت وعيك مرة واحدة، وعثرت على قارب وأخذتك إليه لكي نصل إلى المنزل، لقد أضعت الطريق وفضلت المكوث هنا حتى تفيق.

- لن أتركك مرة أخرى سامحيني، ولن أخذلك مرة ثانية يا حبيبتي، وسأكون بجانبك طوال حياتي، ولن يستطع أحد الوقوف أمامنا.

كنت سعيدة بحديث إلياس وأنني أيقنت الآن مدى حبي له، لكن بعد كل ما مررت به ماذا أفعل؟ لقد أصبحت بداخل دوامة لا نهاية لها، لكن داغر هو سبب كل شيء حدث ولن يقف صامتًا، إنه يريد تالين وأنا الآن في جسدها هذا يعني أنني سأشارك في الملحمة التي يتحدثون عنها، لكن أنا لن أقحم في هذا الجرم بعد معرفتي لحقيقة قبيلة آل راجدان.

وقطع شرودي إلياس وقال:

- هيا بنا يا حبيبتي، لنصل إلى القصر.

وأمسك يدي وذهبنا كنت سعيدة بتواجدنا سويًا بعيدًا عن أي مشاحنات وعوائق، وسهوت عن حقيقتي واستغللت اللحظة أنّني أنظر إليه فقط، وتمكنا أخيرًا من الوصول إلى القصر وكنا في غاية السعادة، وهو متشبثٌ بي عند دخولنا إلى القصر، لكن كان أبي وداغر سويًا يقفان لنا بالمرصاد وقالا في نفسٍ واحد:

- تالين، أين كنت؟

- يابْنتي، قلقت عليك أأنت بخير؟ ألا تعلمين أن حياتك في خطر؟

ثمّ تحدث داغر في غضبٍ قائلًا:

- كيف أتيت معها يا إلياس، ألم تكن في تدريبات المعسكر؟ هل تجاهلت تحذيراتي لك؟ وأنت يا تالين، كيف تذهبين بدون علمي؟ ألا تعرفين قوانين القصر هنا والمخاطر التي قد تواجهك في الخارج؟

- أنا لست أسيرة هنا أنا ملكة وقراري يكون من عقلي فقط.

كان داغر ينصت لي في تجهمٍ وغضبٍ، ثمّ وجه حديثه لإلياس أنه يريد أن يحادثه في غرفته بمفردهم، لكن قبل ذهاب داغر اقترب من أبي وقال له:

- تحكم في ابنتك؛ لأنها ستكون خطرًا علينا جميعًا، أنت تعرف ماذا أقصد ولا أريد أن يتكرر الماضي أفهمت؟ وإلا سوف أقضي على كل من يقف في طريقي.

- ابنتي خط أحمر يا داغر، ولن أسمح بما حدث في الماضي أن يتكرر معها.

كنت أقف بعيدًا لكني سمعت الحديث الذي دار بينهما، ثم نظر داغر لي ولأبي بغضبٍ وتركني وذهب ثمّ اقترب أبي مني قائلًا:

- ابنتي الصغيرة، هل أنت بخير؟ لمَ تتركين القصر كل فترة؟ وأين تذهبين؟

نظرت له في ارتباكٍ وقلت له:

- أبي، كيف ماتت أمي؟

لم أعرف لما قلت هذا الحديث وقد تتغلغل الريبة في قلبه ويشك أنني أعلم شيئًا، لكني أريد أن أصل للحقيقة والتأكد من نوايا جبران هل سيقف بجواري؟ أم ضدي؟

-كيف أتت ذكرى والدتك الآن؟ ألم أقل لك إنها توفيت وهي تلدك.

-وكيف قابلتها ومن أي عائلةٍ كانت تنتمي، ألا يوجد لي خال أو خالة؟

- تالين، كفى ماذا حدث لك؟ لمَ كل هذه الأسئلة فجأة؟ أمك ليس لديها أحد، وكفى أسئلة ولا تتحركي من القصر مرة أخرى.

-أبي، لمَ هذه العصبية؟

لاحظت مدى توتر جبران وأسلوبه المتلعثم في الحديث، وتأكدت أنّ نادين على حق، اقترب جبران مني في قلقٍ واستطرد قائلًا:

-ماذا حدث لك يابْنتي؟ لقد قصصتُ لكِ كل شيء عن والدتك، هل قابلت أحدًا أو تكلم معك شخص ما؟

-لا، يا أبي، لم يتكلم معي أحد، أعتذر لإزعاجك سأذهب لغرفتي لأستريح.

تركت أبي وأنا في حالة من التخبط، وقلت: سوف تحدث كارثة بالفعل يجب أن أذهب من هنا، لكن إلياس أنا أحبه لا أستطيع تركه، ماذا أفعل الآن؟ يجب أن أتحدث مع إلياس عن الحقيقة، قد يستوعب وينقذني من هذه الورطة.

وأثناء ذهابي إليه سمعت صوت داغر وهو يؤنبه ويصيح بصوتٍ عالٍ، واقتربت تجاه الباب لأراه خوفًا على إلياس وإذا داغر يمسكه من عنقه ويرفعه عاليًا وكاد يقتله ويقول له:

- ألم أحذرك بالابتعاد عنها؟ ألم أقل لك؟ لمَ أتيت مرة أخرى تكلم؟ أقسم أنني سأدق عنقك في الحال.

- افعل ما تشاء يا أبي، وإذا كنت تريد قتلي فأنا هنا لكني لن أتركها مرة أخرى كما فعلت، حياتها في خطر الآن.

-غبي، سوف تنهي مصير القبيلة على يدك بسبب تهورك.

-ما دخل مصير قبيلتي في حبي لتالين؟

-أتعرف من تكون تالين؟ من أي قبيلة تنتمي؟

-تالين ملكة تنتمي لبني الإنس!

قهقه داغر في سخرية، ثم استكمل حديثه: إنه غبي.. رغم امتلاكه القوة لمعرفة أي نوع قبيلة ينتمي الشخص إلا أنه لم يستطع تحديد هويتها الحقيقية؛ وأنها تنتمي لقبيلة راجدان ابنة أميرة الذئاب، وسوف تصبح

مثلهم إذا تمكنت من قتل مصاص دماء، وستشن الحرب ضدنا وستكون أنت أول الضحايا.

كنت أنصت له، ثمّ أردف إلياس في تجهم ونكران لم يصدق ذلك: إنها ليست من قبيلة راجدان، إنما أميرة على مملكتها فقط..

سخر داغر من حديث إلياس وأردف قائلاً:

- تعلم أنّ أميرة الذئاب قتلت أباك الحقيقي أخي، لطالما كنت أقلق عليك وأحميك ومن أجل ذلك نسبتك لي بعد ظهورك لعامة الشعب؛ لكي لا تعرف ملكة الذئاب من تكون وتقتلك مثلما قتلت أباك، الآن تستخدم ابنتها لقتلك لكي تصبح مثلها.

- ماذا تقول يا أبي؟ هل كانت هي الذئب الذي قتل أبي؟ لا.. لا يعقل كيف ذلك؟ أكاد أُجن!

- يجب أن تمنعها من أن تعرف حقيقتها لنهاية الملحمة؛ لأنّها ستكون هي نقطة الاتصال لنا دون أن تتدرك، أريدك التعامل معها بنفس الطريقة.

- لكن يا أبي، تالين لا تعرف شيئًا عن والدتها ليس ذنبها شيء وستكون بجانبنا، لا تقلق هي تحبني وستكون معنا فقط وستقضي على قبيلة الذئاب.

-غبي، لا تثق في ذئبٍ أبيض؛ لأنه أمكر أنواع الذئاب، هي عدوتك الأولى واحترس أنت ستقود معي الملحمة، وسنضع الخطة، وإن غدرت بنا يجب أن تفعل شيئًا واحدًا وهو قتلها هي وملكة الذئاب.

- سأقتلها يا أبي، كما أمرت هي وأميرتهم الملعونة.

كنت أسمع ما يدور ولا أصدق ما يتفوه به إلياس، جهشت بالبكاء في صمتٍ ولم أستطع الصمود شعرت أنّ الأرض تميد حولي؛ لكنّني أسندت جسدي على عمود القصر وقلت: كيف يكون والد إلياس هو من قتلته نادين؟ هل ينوي قتلي بالفعل؟ ولا يحبني ويعمل لصالح عمه فقط! داغر إذا علم حقيقتي سيقتلني يجب ألا أعرّف أحدًا أنني علمت بشيء. ثم سمعت صوت إلياس يصيح بصوتٍ عالٍ ويقول:

- القاتلة هي وابنتها، كنت أبحث عن قاتل أبي الحقيقي منذ زمنٍ وأمها من فعلت ذلك كيف أحب ابنتها سأقضي على تلك القبيلة، ولن أرحم أحدًا.

كان حديثه يزيد ألمي ويحطم فؤادي كيف يستطيع نطقها بهذه السهولة؟! ووضعت يدي على فمي لكي لا يسمع بكائي وتنهدي، وأسرعت إلى غرفتي في حسرة ألملم شتات نفسي ودفنت جسدي بداخل وسادتي؛ لأنها كانت خير جليس وأنيس يحتضن أوجاعي، كانت الدفء الذي دفنت فيه كسرتي وفؤادي المتحطم، يا ليت الأيام ما مرت وتركتني أخوض هذه الحرب الباردة معك! أتذكر نظرتي الأولى لك كنت مثل الملاك بزيك الأسود، لوهلة اعتقدت أنك ملاك الموت، لكن مع الوقت كنت ملاكي الحارس، يا ليتني استمررت هكذا! لكن دائمًا النظرة الأولى صحيحة يا ملاك موتين يا ليتني لم آتِ لهذا الزمن وأراك يا حبي الأول الأبدي.

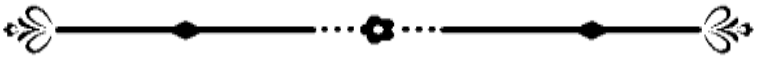

في الغابة:

يقف شخصٌ في منتصف الغابة ويتحدث لآخر ويقول له:

- لقد أصابتني لكن لم أمت، وكنت سأقتلها لكنها نجت.

يردف الشخص الآخر في غضب:

- يا لك من غبي، قلت لك لا تقتلها، لكن هددها فقط إذا توفيت كنت سأقتلك أنت، هي منفعة لنا وستساعدنا.

- لم أكن أعرف يا سيد داغر، لكن ابنك كان يساندها وأصابني بالسهم، كنت سأقتل لكني نجوت بصعوبة وشكلي الذئب لن يتحول الآن إلا بعد معافاتي.

- تفضل سبائك الذهب التي تريدها، واختفِ الآن وإذا جدَّ جديد قم بتبليغ سيدك ويقوم هو بإبلاغي، ولا تأتِ مرة أخرى.

- أمرك يا سيدي، لكن القبيلة في سعادة الآن.

- لمَ القبيلة في سعادة الآن؟

- لأنّ أميرتنا عثرت على ابنتها وتقابلتا بعد غياب.

- ماذا تقول؟! أميرة الذئاب عثرت على ابنتها وقابلتها! اذهب الآن إلى قبيلتك وإذا جد شيء يجب أن تبلغني. أفهمت؟

- أمرك يا سيد داغر.

أفقت من غفلتي في قلق خوفًا من أن يعلم داغر الحقيقة! ما هذا الحلم؟ هل هذه رؤية؟ لكن لم أشغل عقلي ونظرتُ حولي قلت: ما زلت في هذا القصر اللعين، ودموعي لم تجف من مقلتيّ عينيّ يجب أن أستعيد شتات نفسي.

وقمت بتغيير الرداء البالي الذي هلك بسبب ما حدث في الغابة، وارتديت رداءً جديدًا بحلي وزينة وأصبحت في أبهى صوري، واستعدت ثقتي من جديد، وهبطت إلى الأسفل، رأيت إلياس يقف شاردًا بجانب الشرفة، وعندما رآني أصيب بالبلاهة وهو يرمقني بإعجاب رأيت ذلك في عينيه سعادتي ذاتها لكنّها لم تدم طويلاً، واحتلت تقسيمات وجهي معالمُ الغضب والحزن وأردف قائلاً:

- أين تذهبين؟

قلت له:

- أريد التنفس بعيدًا خارج القصر؟

نظر إليّ في غضبٍ وجمودٍ وقال:

-لا، لن تخرجي من هنا.

- هل ستحدد إقامتي هنا؟ أنا لست أسيرة هنا أفهمت؟

- هذا لحمايتك، أبي قال لك من قبل حياتك في خطر بالخارج.

- إنّ أباك كلمته تسري عليك أنت، لكن أنا لا، وحياتي بخطر هنا أكثر من الخارج ابتعد الآن.

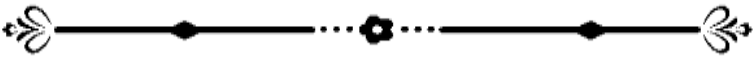

ودفعت إلياس بعيدًا عني في حزنٍ وتركت القصر، وامتطيت الفرس وذهبت في منتصف الغابة وأنا في غاية الأسى والحزن مما قاله لي إلياس، وتركت الفرس وتجولت في الغابة بعيدًا عنه؛ لعلي أجد السلام ونفسي التائهة التي غادرتني منذ مجيئي، وعلى حين غرة سمعت صوتًا خلفي يقول:

- أخيرًا.. عثرت عليك بمفردك.

التفتُ إلى الخلف ووجدته إنه سديم، قلت:

- ماذا تريد يا سديم؟

اقترب تجاه أذني وتحدث وقال:

- أريد قتلك أيتها القطة الباكية، أميرة الذئاب، لقد كنت أراقبك وأنت تتنصتين على أبي وإلياس وسمعت كل شيء.

أصابتني رهبةٌ مما قال، ورجعت للخلف ثلاث خطوات، وقلت له:

- ما هذا الهراء الذي تقوله؟! سوف أذهب الآن؟

وأثناء ذهابي أمسك يدي وجذبني تجاهه قائلًا:

- أين تذهبين؟ هذه الغابة ملكي وأنت ضحيتي هنا، لن أتركك ترحلين بسهولة يا قطتي الباكية، سوف أقتلك وأجعل أميرة الذئاب تتحسر عليك، وبعد ذلك سأقتلها وسأكون الحاكم مكان أبي، ثم يأتي دور إلياس العاشق الولهان لكي لا يحاربني على السلطة، وسأحتل مملكة ووالدك الضعيف الذي سيحزن على موتك، سأكون أنا الحاكم في كل شيء، ثمّ قهقه في هيستريا والشر يقدح من عينيه، وتابعتُ قائلة:

-أنت شخص فقد عقله! كيف تكون هكذا أتريد قتل أخيك؟!

- من قال لك أنّ إلياس أخي؟ ألم تسمعي ما قيل يا تالين؟ أنت أذكى من ذلك هو منافس ليس أكثر، أبي الغبي اتخذه كابنٍ له، وسلمه شؤون البلاد، واستهتر بي وبقوتي وتمسك بهذا الغبي الضعيف، لا تخافي ستكونين أنت أول ضحية لي، وهم سوف يأتون إليك بعد ذلك، لن تكوني وحيدة يا قطتي الباكية لا تخافي.

-انتظر يا سديم، مهلًا، أنا لست تالين ولن أشكل خطرًا عليك أنا لست من هذا العالم.

كان سديم يقهقه بصوت عالٍ؛ بسبب رؤية خوفي وضعفي واستطرد قائلًا:

-هل أنت خائفة يا أميرتي؟ كيف تكونين ملكة الذئاب وأنت بهذا الضعف والخوف؟ لكن لا تحزني في كلا الحالتين سأقتلك.

زادت الريبة بداخلي من سديم الفاقد عقلة، واستنجدت بتالين لعلّها تأتي وتنقذني لكن دون جدوى، والتفت حولي علمت أنني يجب أن أنقذ نفسي، ثمّ دفعت سديم، وركضت بعيدًا، لكنّه كان يظهر أمامي بسرعة رهيبة كالريح كلما اختبأت في مكان ما، ثمّ اقترب إليّ وداهمني وأمسكني من عنقي ورفعني عاليًا، وقال:

- ستكونين فريستي يا أميرتي.

وأخرج أنيابه واقترب من عنقي وتجرع دمي! شعرت بألمٍ وتخديرٍ تامٍ والدم بدأ ينسحب مني ببطءٍ شديد، علمت أن حياتي أوشكت على الانتهاء

وقلت: لا، لن أموت في هذا العالم يجب أن أقاوم للرمق الأخير، وتذكرت أني أحتفظ بخنجرٍ من الفضة بجانب خصري، فمددت يدي وأخرجته وطعنته به، فتركني ووقعت على الأرض والدماء تسيل من عنقي مثل الشلال المنهمر، ولم أشعر بشيءٍ وفقدت الوعي.

كنت أرى أناسًا حولي يذهبون ويأتون ويضعون أعشابًا طبية على عنقي، وأنا في عالم آخر لم أشعر بجسدي ورأيت نادين تمسك يدي وتبكي، بادلتها بابتسامة مباغتة، ثمّ غبت عن الوعي مرة أخرى،

وعلى حين غرة رأيت نفسي بداخل قصر قبيلة الظلام، الجميع في حالة صدمة وحزن، وكان جسد سديم ممددًا على أرضية القصر والحارس يقول: إنّه رآني أقتل سديم بخنجر، وعندما أتى إلينا كنت قد اختفيت وأتى بجثمانه إليهم، أصيب إلياس بالحزن وتمسك بيد أخيه، إنه لا يصدق ما يدور وأنه أصبح جثة هامدة! يوجد شيء مبهم لا يمكن أن أكون بتلك القسوة.

ثمّ داهمه داغر بصفعة على صدغه قائلًا:

- اصمت أيها الجبان، ولا تأتِ بذكر هذه الخائنة مرة أخرى، لقد أثبتت من أي قبيلة تنتمي.

عندما رأيت إلياس ركضت إليه مسرعة، لكنّني كنت مثل السراب لا يراني ولا يشعر بي، ووضعت يدي على وجنتيه مكان الصفعة في حزن، لكنّني مجرد طيف شاهد على الأحداث فقط.

ثمّ قال داغر:

- كانت تعلم حقيقتها والتقت بوالدتها وذهبت إليها، والقبيلة بأكملها كانت سعيدة بعثورهم على أميرتهم المفقودة، لكن أنت غبي صدقت مكر الذئاب.

-أنت صادق يا أبي كانت تالين تتلاعب بي خلال فترة إغمائي، نعم القارب كان في طريق سير وادي الذئاب سأقتلها.

- كانت تخدعك بكلامها المعسول، كاذبة خائنة قتلت أخاك لن أتركها سوف تكون نهايتها على يدي أنا، كما قتلت سديم وحسرت قلبي عليه.

يريد موتي! أصبت بصدمة من حديث إلياس كيف يفكر بي هكذا؟ تساقطت الدموع من مقلة عيني قسرًا تحمل قهرًا مباغتًا من كسر الفؤاد، وما زاد حزني رؤية جبران وهو يبكي بكسرة فذهبتُ خلفه مسرعةً لخارج القصر، وهو يركض خائفًا في طريق الغابة باتجاه منحدرات الذئاب ويتلفت يمينًا ويسارًا تائهًا لا يعرف مرسى ينتهي عليها، ثم ظهرت نادين بهيئتها كالذئب، ثمّ تحولت كهيئتها الإنسية ورمقت جبران في دهشة وخوف، اقتربت منه قائلةً:

- هذه أنا، لا تندهش كثيرًا يا جبران، أنا حية أُرزق أنت وصديقك الحقير لن تستطيعا قتلي ولا تنسَ من أنا! أنا أميرة الذئاب وابنتي مثلي حتى إذا أنكرت ذلك إنها من دمي.

رد عليها جبران في حديث غير متوقعٍ قائلًا:

- لقد اشتقت إليك كثيرًا، أنا لا أعلم أنك على قيد الحياة، ولا أمرت بقتلك عندما هربت من القصر، عثر داغر عليك وهددني أنه سوف يقتلك أنت وابنتي، كان يجب أن أنصت له، وأن أنفذ شروطه من أجل إنقاذكما، وعندما أنجبت ابنتي قال إنّك توفيت عند إنجابك، وإنّه قام بتسليم جثمانك لقبيلتك. صدقيني لقد حزنت كثيرًا عليك، وندمت على ما قلته لك وعدم تقبلي لحقيقتك، لقد أحببتك كثيرًا يا نادين سامحيني.

- لقد فات الأوان على هذا الحديث، أنا الآن شخص آخر لا شيء أفكر فيه سوى ابنتي فقط.

-هل هي بخير؟ أريد الاطمئنان عليها وأحذرها من داغر وابنه؛ إنهما يريدان القصاص والانتقام لموت ابنهم سديم.

-هي بخير، لكن يصعب رؤيتها؛ لأنّها أصبحت شخصًا آخر، لكن الحرب لن تنتهي بين القبيلتين بعد الذي حدث، يجب ألا يعرف أحد الحقيقة لكي لا تؤدي لقتلها.

- ماذا تقولين؟ أنا أريد رؤيتها والاطمئنان عليها ولن أذهب حتى أراها.

- ستراها لكن لا تصدر رد فعل أو تشعرها بشيء.

- لم أفهم، سوف أنفذ ما تقولين.

....

كنت أنصت إلى حديثهما، ولم أفقه شيئًا مما تقوله نادين وتحدثها لجبران بالألغاز؟! أين أنا؟

كنت طيفًا هائمًا لا يوجد جسد له مجرد خيال خفيّ يترقب ويشهد على مجرى الأحداث التي لا أعلم نهايتها، ذهبت خلفهم لأنهم الأمل المتبقي لمعرفة أين أنا، وتحركنا عن طريق قارب صغير في النهر وخضنا مسافة ليست طويلة حتى تمكنا من الوصول إلى وادي الذئاب، وتركنا القارب كان جميع أهل الوادي ينظرون إليهم بطريقةٍ مخيفةٍ ومريبةٍ، لكن نادين أمسكت بمعصم جبران ودلفا لداخل بيتٍ مصنوعٍ من الطين وأوراق الشجر، وفتحت مقبض الباب وكان المكان مظلمًا أكاد أرى الطريق، ثم أشعلت نادين نارًا لكي تتضح معالم الحجرة، فظهر سرداب أسفل الأرض يتصل بسلالم سفلية نظرت نادين إلى جبران وقالت:

- سوف تعرف كل شيء لكن انزل الآن.

كنت خائفة من حديث نادين، لكن ذهبت خلفهما أراقب ما يحدث، ظهر باب حديدي سميك وعليه قفل كبير الحجم، ثمّ توقفت نادين ونظرت إلى جبران وقالت:

- لا تصدر أي رد فعل ولا تقترب منها مهما حدث، أرجوك لا تتفوه بشيء أمامها.

كنت خائفة ماذا يوجد خلف الباب؟ لمَ تقول كل هذا؟ هل أنا ميتة الآن وطيفي أصبح حبيسًا في هذا العالم؟ ثمّ فتحت الباب الحديدي ورأيت ما لم أكن أتوقعه أبدًا؛ كان جسدي ممددًا على سريرٍ خشبي فاقدة الوعي وموثوقة من اليد بسلاسل حديدية سميكة الحجم، كنت في حالة يرثى لها وتوجد

أنياب تخرج من فمي مدببة! لم أصدق ما أرى وقلت أكيد أنت تالين لست أنا صحيح؟! لكن لمَ فاقدة للوعي هكذا؟! واقتربت من جسدي الممد ووضعت يدي على وجنتي، وتحدثت بصوتٍ عالٍ: أفيقي أنت تالين صحيح، أصبحت الأرض تميد بي ورأيت طيفي يتناثر ويدخل في هذا الجسد الممد؛ ليعلن إحياءه من جديد وأفتح عيني في حالة من الهيجان وعدم الاتزان أصرخ أصيح، كيف يعقل؟! لمَ أنا هكذا؟ لمَ ما زلت حبيسة في هذا الجسد؟ والأسوأ أنني متحولة! نعم رأيت نفسي في المرآة المتواجدة على الجدار بملامح غريبة كنت أشبه المسخ! والأسوأ عند اقترابي من جبران لا أهجم عليه كنت أريد افتراسه، لكن نادين سحبته بعيدًا عني وتحدث في ريبة وعدم اتزان قائلًا:

- ماذا يحدث لابنتي؟ كيف تحولت هكذا؟! عيناها تحولتا للون الأحمر وأنيابها أصبحت مدببة؟ إنها كادت تلتهمني.

ثمّ انحنى جبران على الأرض وأجهش في البكاء بشدة وقال:

- أميرتي الصغيرة، تحولت لوحشٍ ولا تستطيع السيطرة على نفسها، لا أصدق أنها تتعطش للدماء! ماذا حدث لابنتي الصغيرة؟ كل هذا بسبب العائلة الملعونة لن أتركهم.

- انهض الآن يا جبران، واصعد معي إلى الأعلى سوف أسرد لك ما حدث.

بالفعل صعدا لأعلى وأنا أصبحت وحيدة أعاني مما أصابني ومغيبة، لكنّني كنت أسمع كل شيء يدور حولي وأيضًا الأشياء البعيدة، وجبران ونادين

يتحاور حول الحرب التي ستقام وتحدثه وتقول: إنّ هذه الخريطة هي حدود بلادنا والوادي الذي يمكثون فيه، والعلامات والدائرة الحمراء التي تتواجد في أعلى الخريطة إنه رسم القمر الدامي، وسوف يظهر بعد ثلاثة أيام من الآن، وعندما يحدث ستتحول تالين إلى أميرة للذئاب، وتعود لهيئتها الطبيعية، ستصبح هجينًا بين الذئاب ومصاصي الدماء. أتفهم ماذا يعني هذا يا جبران؟ إنّها ستكون الملكة القادمة على القبيلتين! وهذا سوف يشكل خطرًا عليهم لأنها الموعودة!

- أنا لا أفهم موعودة بماذا؟ وكيف يشكل خطرًا عليهم؟

- قبيلة وادي راجدان وقبيلة الظلام كانوا يخدمون ساحر البلاد، وعندما نكثوا بعهدهم ألقى عليهم لعنة الدم وقتل بعضهم البعض، ويستمر ذلك حتى تظهر الموعودة وتكسر اللعنة وتشن حربًا ضد من يقف أمامها، وستقود الملحمة الدموية التي ستقع بين مؤيدين ومعارضين وتنشئ السلام بينهم وتنهي الحرب.

- كيف ذلك؟ وكيف تكون الموعودة؟

-لأنّ الموعودة يا جبران، تجمع بين دم ملك قبيلة الظلام وتكون سليلة أميرة الذئاب، وهذا ما حدث عندما أقدم سديم على ارتشاف دمائها ومحاولة قتلها، وقتلته هي وتحولت لأميرة الذئاب.

- لا أفهم كيف تحمل دمه هو من قام بارتشاف دمائها ليست هي؟

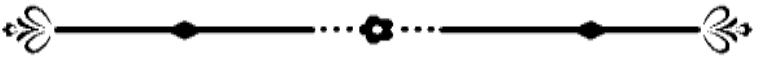

- لأنّ مصاصي الدماء عندما يصطادون فريستهم ويمتصون دماءها يخرجون دماءهم أيضًا للامتزاج بدم الفريسة؛ لكي يستطيعون تحويلها بالكامل ويتشكل نسلهم؛ إذا كانوا يريدون قتل الفريسة يرتشفون آخر قطرة في جسدها وهذا لم يحدث؛ لأن تالين قتلت سديم قبل أن يرتشف آخر قطرة في دمائها.

- ماذا نفعل الآن؟

-لا شيء خلال الأيام المقبلة، لا يجب أن يعرف أحد أن تالين تحولت لمصاص دماء؛ حتى لا يسعون لقتلها قبل تحويلها لأميرة الذئاب، وأنت يجب أن تمكث هنا حتى تشفى تالين؛ لأنه سيكون هناك خطر عليك الذهاب لهم مرة أخرى، وخطر على قبيلتنا؛ لأنك تعلم جميع أسرارنا الآن.

كنت أنصت لحديثهم وأنا في عالم آخر، أصبحت وحشًا كاسرًا موثوقة من معصميّ وساقيّ، أتحرك مثل السجينة بسلاسل تجر خلفي أنظر برهة في مرآة بالية شبه مكسورة لوجهي البغيض وأجهشت في البكاء بقهر، أسمع أحاديث تدور حولي أكاد أجن من هول ما يحدث معي، هل هذه هبة مصاصي الدماء؟ لكن لمَ أنا التي تتحول وليست تالين؟ أنا مجرد شاهدة، لماذا أخوض كل هذا التجربة المميتة، وجلست في وضعية القرفصاء، وصرخت بصوت أجهش صيحات تعبر مدى الألم الذي أتجرعه، وفجأة أحسست بيد تربت على رأسي فنظرت فإذا بتالين تنظر لي وتقول:

- أعتذر منك يا سيرين، على ما مررت به، لكنني أريدك أن تشعري بما صارعته لكي تستطيعي أن تقرري بعد ذلك. تحملي، أنت أقوى من ذلك وستدركين مدى قوتك قريبًا..

ثم اختفت كنت ألتفت يسارًا ويمينًا؛ لكي أبحث عنها لكن دون جدوى، ثم سمعت صوت نادين تقول:

- قيس، يا ابن أخي، تولى حراسة تالين؛ أنت وصديقك تميم.

-أمرك يا أميرتي، لا تقلقي سأتولى حراستها، وأكدت على تميم أن يقوم بحراسة جبران.

كانت الأجواء هادئة يعمها السكون وحالي لم يتبدل، بل كنت بهيئتي الوحشية أهجم على أي شخصٍ يقتحم الغرفة، لكني تأملت بأن يأتي يوم القمر الدامي؛ لأتحول لهيئتي البشرية مرة أخرى.

لكن القوة التي حصلت عليها موخرًا لم تكن هبةً بل نقمة عليّ، كانت الأصوات تتزايد يومًا بعد يومًا داخل عقلي، أضع يدي على أذني وأتألم وأضرب رأسي في الجدار مرارًا وتكرارًا، لكن دون جدوى الألم يزداد قبحًا،أفقد الوعي وأصحو وأسمع ما يدور حولي، لكن مؤخرًا الصوت أصبح أكثر وضوحًا؛ لقد سمعته مرارًا من قبل إنه إلياس يتهمني بالخيانة! وطعنة بسكينة الغدر! إنه لم يصدق فعلتي الدنيئة؟ إنه سينتقم مني، ثمّ صمت برهة وحديث متضاد يتفوه به، إنه يحبني ولا يستطع نسياني، ثم يعود يلوم عما فعلته قبيلتي معه ولن يستطيع التغاضي عنه أبدًا، ونهاية قبيلتي

على يده. حديثه زادت مرارته كان خنجرًا يشق قلبي، يا ليت صوتي يصل لك يا حبيب القلب، لترى مدى معاناتي والوضع الذي أصبحت فيه.

وعلى حين غرة صدر صوت خبط قوي في القصر، وضعت يدي على أذني، لم أكن أستطيع التحمل أكثر من ذلك كفى.. كفى، تغير الوضع إلى هدوء تام، ثمّ قاطع ذلك صوتًا مبهمًا من شخصٍ مجهول يتحدث إلى داغر ويقول:

- سوف تكون نهاية القبيلتين على يد تالين يا داغر.

فيبادله داغر الحديث بتجهم وغضب قائلًا:

- كيف أتيت إلى هنا؟! أجننت؟! ستعرف قبيلة راجدان إنه يوجد ذئب خائن لديها وستنتهي خططنا.

- الأمر ضروريّ، ولم أعثر عليك في مكان تجمعنا في الغابة.

- تحدث على الفور ماذا تقصد بحديثك؟

- تالين تحولت لمصاص دماء، وستتحول أيضًا لأميرة الذئاب عند اكتمال القمر الدامي أتعلم ماذا يعني هذا؟

- كيف علمت ذلك؟ لا أكاد أصدق! أيعقل أن تكون هي من تنهي حكمنا وتهدم كل تاريخنا؟! سديم الغبي قام بتحويلها قبل قتله، ماذا سيحدث الآن؟

- والدها هناك وأميرتنا معها أيضًا تضع حراسًا لمراقبتها؛ حتى يتم اكتمالها ولم يرَها أحد حتى الآن إلا أميرتنا ووالدها.

- متى موعد اكتمال القمر الدموي؟

- بعد ثلاثة أيامٍ يا سيد داغر.

-أريد منك أن تضع خريطة بمكان تواجدكم والطريق المؤدي لكم؛ سنهجم عندما أستعد وأريد منك أن تمنع الحراس من التواجد هناك، وأن تخلي المكان يجب أن تموت تالين على يدي، لن أجازف وأترك الأمر لشخصٍ مثلك، سأبعث لك رسالة بموعد الهجوم اذهب الآن. أيعقل ستتحقق النبوءة؟! لكن سنهلك جميعًا إن حدث ذلك!

أصابتني حالة من الذهول مما يدور، كيف يوجد خائن هنا؟! وتحركت مرة واحدة من وضعي الثابت باتجاه الجدار وصعدت عليه كنت أخطو عليه كالخطو على الأرض، أسير على الحائط بخطواتٍ ثابتة وأفكر في مصيرهم، وقلت: يجب أن أعلم خططهم بأكملها، أغبياء لم يعلموا مقدار قوتي وأنني أصبحت مثل ظلهم أراقبهم من بعيدٍ دون رؤيتي. وصعدت أكثر ووصلت لسقف الحائط واحتضنت يدي الاثنتين كالخفاش وهو يحتضن نفسه بأجنحته السوداء، استعدت تركيزي لأسمع ما يقال عن خطة هجومهم، وفعلًا كان داغر يحدث إلياس قائلًا:

- أبواب الحرب أوشكت يا إلياس، سوف تحدث عوائق كثيرة إذا لم نبادر نحن بها.

- ماذا تقول يا أبي لم أفهم؟

-عميلي السري الذي زرعته بداخل قبيلة راجدان ليعرف كل مستجدات القبيلة كان هنا، وقال: إنّ تالين أصبحت أميرة الذئاب، وتستعد لخوض

حرب ضدنا، وأيضًا على مملكتها وسوف تقتل أي بشري لم يخضع لها وينفذ أوامرها، هي تستعد الآن بزحف بجيشها لتحتل البلاد، وتنشر القتل والدم وتستعمر العالم.

- ماذا تقول يا أبي؟

- والدها مثلها خائن هرب لكي يمدها بأخبار المملكة، ويحثها على شن الحرب ليحكم معها، يجب أن نبادر بهجمتنا ونقتلها هي وعائلتها قبل أن يقتلوا أناسًا لا ذنب لهم.

- ماذا تقول؟ أأقتل تالين؟! لكن يا أبي...

- أنت ابن داغر العابدين، لا تجعلني أندم على ما فعلته لأجلك، أنت مكان سديم هذه المعركة لحماية البشرية وجنسنا من الانقراض، لا تضع مصالحك وحبك في سبيل قبيلتك وبلدك.

-أمرك يا أبي، أنا آسف لن أخيب ظنك أبدًا، وسأجهز حملة للهجوم غدًا. انتظر يا أبي، ولا تتحدث عن خطة الهجوم الآن.

- لماذا؟ ماذا دهاك يا بني.

- أشعر أنّ أحدًا يتنصت علينا ويسمع كل حديثنا.

- لكن لا يوجد أحد غيرنا يا إلياس؟

- لكنّني أشعر به شخص ليس ببشري.

-إذًا اصمت ولا تتحدث، سأرسل لك خريطة بمكان وموعد الهجوم.

....

لم أعلم كم أنت حقير يا إلياس، أتريد قتلي أنا وعائلتي؟ هل هذا ثمن حبي لك؟ كيف تصدق داغر؟ ولم تتأكد بالمصير الذي أصبحت فيه، كيف علم أنني أتجسس عليه؟ هل شعر بوجودي بجانبه؟ أم موهبته المميزة لقد قالها ليست بشرية مثل وضعي الآن؟

أصبحت بداخل حرب دامية، وجزءًا منها، ولست شاهدة فقط مثلما أعتقد، لكن ماذا تقصدين بفعلتك هذه يا تالين؟ ولمَ سأصل بهذه الأحداث؟ يجب أن أحذر نادين، لكن كيف والأبواب مغلقة عليّ ويُمنع خروجي، تحركت من على الجدار وهبطت لأسفل وصحت بصوتٍ عالٍ على نادين وجبران، لكنه لم يصل لهما، واتجهت لكي أكسره لكن السلاسل الحديدية مصنوعة من الفضة لم أقوَ على كسرها! كيف سأصل لها؟ ثمّ أتت أمامي هيئة نادين وهي تتجه إلى الحارس! نعم لقد رأيت ما يحدث في الخارج وكانت تتحدث إلى قيس أنّها قلقة عليّ تريد حمايتي للرمق الأخير، فقطعها قيس مستكملاً:

- لا تخافي يا أميرتي، لقد شدّدتُ الحراسة على الأميرة تالين، وكل شيء سيكون على ما يرام.

-لا يا قيس، يوجد خائن بيننا الأوضاع لا تطمئن.

-لا تقلقي، سأعرف من هو، وسأقوم بتبديل الحراسة بأكملها.

-لا تبدل طاقم الحراسة، لا أريد أن يشعر أحد بشيء، لديّ خطة بديلة لكن أريد منك وعدًا يا قيس، يجب عليك الحفاظ على تالين إذا حدث لي شيء هي الملكة القادمة.

- لمَ تقولين هذا الحديث؟! ستكونين بخير، وتالين أميرتي وابنة عمتي، وسأدافع عنها حتى الرمق الأخير.

-أعلم ذلك، أنت كابنٍ لي يا قيس، اذهب وتحدث مع الجنود وأمن المكان.

-أمرك يا أميرتي، سأتحدث إلى صديقي تميم؛ لكي نؤمن الحدود ونضع خطةً بديلة لا تقلقي، إنه أتى سأتحدث إلى تميم.

- يجب أن نزيد طاقم الجنود ونؤمن الوادي.

- لكن يا قيس، لمَ كل هذا؟

- لأنّ أميرتنا قلقة يا تميم، يجب زيادة عدد الجنود.

- سأتحدث معها.

لا تقلقي يا أميرتي المكان آمن وسأنتبه جيدًا، سأحميها وأدافع عنها للنهاية، فهي ستصل القبائل إلى النور.

....

كنت أرى قلق نادين عليّ، شعرت أنّها أمي بالفعل التي لطالما تمنيتها، وتعهدتُ أنّني سأقول لها أمي مثلما تريد؛ لأنّها بالفعل الأم المثالية التي تحمي أطفالها، للمرة الأولى أشعر بحنان الأم؛ فأنا يتيمة تربيتُ في ملجأ ولا أعرف ما هي العائلة.

وتنفست الصعداء وأحسست بالراحة؛ لأنّها علمت أنه يوجد خائن بالفعل، وبلغت الطاقم بذلك، لكن ماذا يحدث إذا هجم إلياس على القبيلة الآن؟ هو يعتقد أنّني القاتلة وداغر يستغل ذلك هو معمي بالانتقام، يا ويلي ماذا أفعل؟!

وبعد يومين، كنت هائمة في الجزيرة أرى التجهيزات والحماية اللازمة للحرب والاستعدادات لحمايتي، ورأيت أبي أيضًا ومدى قلقه عليّ واطمأننت على الجميع، ثمّ عدت لجسدي مرة أخرى ونظرت للحالة التي أصبحت فيها مجرد مسخٍ يعيش كالخفافيش الطائرة، يتغذى على الدم لقد اختفت سيرين وتالين أيضًا أصبحت كائنًا آخر لا أعرفه، وبعد ساعات من التأنيب واللوم غرقتُ في نومٍ عميقٍ، ثم أفقت على صراخٍ وصياحٍ عالٍ اتجهت إلى الباب؛ ثم باغتتني رؤية لإلياس وهو يقف في وادي الذئاب، من الجهة الخلفية التي لا يوجد فيها عدد كبير من الجنود! ثمّ داهمه اثنان من جنود الذئاب وأطلقا عواءً عاليًا، وهو صوت الخطر الذي يتواصل به الذئاب، وأشهر إلياس سيفه تجاههما وأسرع إليهما وقطع رقبة الاثنين بضربة واحدة، ثم أتى الثالث وبدأ يصدر عواءً أعلى وهرب بين الغابات ليحذر القطيع.

ذهب إلياس خلفه ومعه جنوده، وبدؤوا ينتشرون في أنحاء الجزيرة، وبدؤوا يتفوهون باسمي ويبحثون عن والدي ونادين لقتلهما قبل أن يدمروا المملكة. كنت أرى كل هذا في حالة هيستيرية ونظرة إلياس

المتوحشة وهو يقتل كانت الأكثر رعبًا؛ سيقضي على الجزيزة بأكملها ولن يتوقف إلا بقتلي أو بقتل عائلتي، كانت نادين تخرج من البيت في رهبة وتصيح على قيس وباقي القطيع الذين كانوا في حالة من الهرج والمرج؛ بسبب إشعال النار في الجزيرة التي أصابت أهلها! وعندما رأت نادين ذلك ذهبت لأعلى هضبة في الجزيرة، وتحولت لذئبٍ أبيض ضخم وأطلقت عواءً عاليًا جدًا ليجميع القطيع حولها..

....

في ظل الأجواء العارمة اتجه جبران إلى السرداب لـيخرجني منه خوفًا عليّ، لكنّه لم يعثر عليّ لأنني لم أكن هناك، بل في مكانٍ آخر بداخل الحرب! نعم، كنت مكتملة التحول بمظهر جديدٍ بشعري الناريّ الطويل، المنسدل على خصري، ووجهي الذي أصبح باهتًا، وعينيّ غمرتهما زرقة عيون الذئب، ويديّ خرجت منها حوافر مخالب حادة كالسيف، وجسدي زاد صلابة وشجاعة، أصبحت بقوة عشرة رجال من قبيلة مصاصي الدماء، تقدمتُ في منتصف الحرب بشعرٍ يعلو في الأفق بقوة ثائرة، قتلت مصاصي الدماء بضربةٍ واحدةٍ بسيفي قضيت عليهم، كنت أركض في سرعةٍ مهولةٍ بقتلهم ولا يستطيع أحد أن يصيبني أو يلاحقني! كنت كالوحش الكاسر الذي فك أسره يستمتع بتناثر الدماء على فمه وجسده، فكنت أتلذذ بذلك، شعور غريب غمرني خلال حربي الدامية، لكن قاطع تفكيري المشمئز صورة أبي وهو يهاجَم من قبل مصاص دماء؛ أشهرت سيفي لأعلى وهرولت إليهم،

فقسمتهم إلى نصفين! كان جبران ينظر باندهاش من صغيرته التي أصبحت مسخًا صغيرًا بلا قلب، لكن ما زاد اندهاشه تحولي قبل اكتمال القمر الدموي، وقوتي التي لا تقهر!

سرت بعيدًا أبحث عن أمي وداغر؛ لأنني أعرف ماذا يريد؟ وعلى حين غرة رأيت داغر وإلياس ينتصبان واقفان أعلى تلة في الجزيرة ومعهما سيفهما.. ويتحاوران بغضب.

****

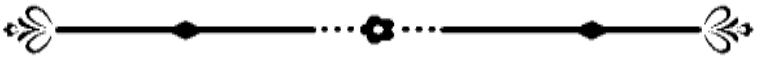

(7) ملحمه الدم (عشتار)

عشتار هي إلهة الحبّ والجمال والحرب والتضحية، هكذا لقبت به.....
ما حدث معي خلال الأيام التي مضت غيرت أشياء كثيرة بداخلي؛ أيقنت حقيقتي ومن أنا؟ وماذا أريد؟ بعد تحولي لمصاص دماء من قبل سديم، كنت مثل الوحش الكاسر أتعطش للدماء، أدرك ما يحدث لكن غريزتي وتعطشي كانا أقوى مني، ونادين هي من أنقذتني بعد تحولي وخلال هذه الأيام كانت تعطيني جرعات من أعشابٍ مخففة مع الدماء؛ لكي تخمد تعطشي لها ولأتمكن من العيش حتى اكتمال القمر الدامي، وكان موعد اكتماله الليلة، لكن الذي لم يعلمه أحد أنني حذرت أمي وقلت لها ماذا يحدث معي، والقوة التي امتلكتها، لكنّها أبت أن يعرف أحد ويقتلني واستطاعت تبديل مكان تواجدي؛ خوفًا عليّ وأخرجتني من السرداب في الليل إلى غرفتها، ولم تُعلم أحدًا عن موعد اكتمالي الحقيقي؛ لأنني تحدثت معها بشأن جاسوس داغر الذي يتواجد في قبيلتنا، وأيضًا القمر يكتمل ثلاث مرات في السنة، وعند تحولي كان هو يوم الهجوم على قبيلة الذئاب، كنت ضد الحرب ورافضةً الدخول في معارك؛ لأنّني لم أنتمِ لهذا العالم، ولكن لا أستطيع أن أشاهد القبيلة التي آوتني تقتل بدون ذنبٍ، ونادين التي سعت لتحميني بكل الطرق، أحسست بالفعل أنّها قبيلتي وواجبي

الدفاع عنها والتصدي لداغر الذي يتعطش للدم، كنت أحارب بكل ثقةٍ ولا أقهر حتى رأيته من بعيدٍ، وتسمرت ولم أستطع التحرك، كان يقف مع أبيه أعلى التلة، ويرمقني بنظرات اشتياقٍ وحبٍ، ولوهلة أقدم داغر بلكمة قوية على وجه إلياس، والتفت إليّ وأنا كنت أنظر إليهما في دهشةٍ وبلاهة حتى أتى داغر في سرعة الريح يمسك بسيفه اتجاهي، وكاد يطعنني به، لكنّ أمي تقدمت مسرعة إليّ وعانقتني وأخذت الطعنة هي! احتضنتها بقوة في صدمةٍ، لم أستطيع التكلم بكيت في صمت، ثمّ صحت بأعلى صوتي بقوةٍ يصحبها زئير وقلت:

- لا يا أمي، لا يا أمي، أرجوك لا تموتي سامحيني ولا تحرميني من هذا الشعور، كنت قد افتقدته منذ زمنٍ وأنت من أحياه بداخلي، أتوسل إليك لا تموتي لا تتركيني.

- أنت لست صغيرة يابْنتي، تستطيعين الآن أن تكوني أميرة قبيلتك، أنتِ عشتار قبيلتنا لا تتركي حربك، دافعي عنها وحرري شعبنا من الدم ووحدي القبائل؛ أنت أملهم الوحيد حياتك مهمة لهم ولا تحزني يا حبيبتي تالين، سأكون بجوارك بروحي مثلما كنت تراقبينني من بعيدٍ، سأكون مثلك يا حبيبتي الصغيرة.

كنت أحتضنها وأبكي فأغمضت عينيها وسقطت يداها، وتوقفت نبضات قلبها التي كانت تدق كطبول الحرب لتعن نهايتها وموتها على يد داغر

اللعين. لكني لن أتركك، ولن أترك انتقامي سأقتلك يا داغر نهايتك على يدي.

أمسك قيس يدي وأردف قائلًا:

- أرجوك يا تالين، ليس وقت الحزن الآن القبيلة تنتظر أميرتهم القادمة، لا تظهري ضعفك وحزنك أمامهم.

أثناء ذلك هرب داغر وأعوانه، ونظرت لقيس الذي يحاورني كنت أعرف أنني رأيته من قبل، نعم إنه الذئب الذي قابلته من قبل عندما ترك القطيع، سحبت يدي منه واتجهت إلى القبيلة وأخرجت سيفي ورفعته عاليًا قائلة:

- تجهزوا الآن يا قبيلة الذئاب، ستكون أمامنا ملحمة يجب أن نخوضها أمّنوا الجزيرة، ضمدوا الضحايا، وادفنوا موتاكم سنقيم حدادًا لهم اليوم وغدًا سيبدأ القتال استعدوا.

وصاحوا بأعلى صوت وأصدروا صوت العواء تأييدًا لأميرتهم القادمة، وأقدم قيس تجاهي قائلًا:

- تالين، أريد التحدث إليك في أمرٍ عاجل.

- ما الأمر؟ وماذا تريد؟

- أعرفك بنفسي أنا قيس، ابن خالك يا تالين، ومساعد الأميرة الأول، أريد أن أقول لك أن الخائن عثرنا عليه، واحتجزناه هنا.

- أنا أعلم من أنت يا قيس، لكن أين هو الخائن؟

- انتظري يا تالين، يوجد أمر آخر، أميرتنا كانت تعلم أنّها ستموت وأنّ داغر لن يتركك أبدًا، واختارت أن تضحي من أجلك؛ أنت قيمة جدًا في قبيلتنا ليس فقط نحن بل قبيلة الظلام، يجب أن تعلمي كل شيء قبل أن تبدئي الحرب، وتعرفين من أنت وما هي قوتك وماذا ستفعلين؟

- أنت قلتها مدى قوتك؛ أنا أعلم ما تريد قوله يا قيس، والملحمة سنخوضها وننتصر.

وأثناء حديثي لقيس دلف عمي لاشين إلينا، قلت:

- ماذا تفعل هنا أيّها الخائن؟ كيف تجرؤ على المجيء؟

تدخل قيس في الحديث قائلًا:

- أرجوك اهدئي يا تالين، لاشين كان يساعدنا ويمد أميرتنا بالمعلومات، ويقبض الثمن.

- يقبض الثمن هو لا يفعل شيئًا بدون مقابل، سأذهب لكي أستريح لا أريد رؤية لاشين الآن.

وبالفعل ذهبت إلى بيت نادين في الغرفة التي كانت تحميني بها، لطالما رأيت نادين درع الحماية لي لم أشعر بهذا الشعور من قبل، لكن للأسف افتقدته وجلست على السرير أفكر فيما يحدث وقلت: لاشين كان مع نادين، ويمدها بكلّ المعلومات بعد ما تخلى عنه داغر، لكنّني لا أثق به وأيضًا هيئة داغر وهو يقتلها لا أستطيع نسيانها أبدًا، وإلياس لقد تركه يفعل ذلك، وتخليت عني مثلما قالت أمي من قبل سوف يخونني. جلست

أفكر كيف أخطط للحرب، ثمّ تحركت بجانب المرآة، وتطلعت على هيئتي، وقلت من أنت سيرين أم تالين؟ لم أعد أعرف من أنا؛ لقد ضاعت سيرين بداخل هذه البؤرة الزمنية، وأصبحت تالين هي من تحكم وتخطط، ورأيت دماءً في يدي ارتعدت أوصالي، ومسحت يدي بقطعة قماشٍ، لكن الدماء لا تختفي لقد أصبحت يدي ملوثة بدماء غيري، صرت قاتلة بدم بارد! ورأيت نسخة أخرى تشبهني في المرآة تضحك بهستيرية، وأخرجت خنجرًا وطعنتي به، ووضعت يدي على الجرح والدماء تتساقط منها بغزارة وفقدت الوعي على إثرها، ولم أفق إلا على صوت أبي وقيس وهما يقولان:

- ماذا بك؟ لمَ تصرخين؟

فتحت عيني لأنظر لكن لم أجد شيئًا بي غير أنني ملقاة على الأرض، قلت: ماذا يحدث؟ هل كنت أحلم؟

ثمّ قال قيس:

- الجنود بانتظارك يا أميرتي، لتضعي خطة الهجوم.

- سوف أذهب معك لنضع الخطة أنا بخير الآن.

وبالفعل دلفت إلى غرفة الاجتماعات، وحددت مكان تجمعنا على الخريطة بمساعدة قيس وأبي، وقسمنا أنفسنا إلى مجموعاتٍ كل مجموعة ستكون مسؤولة عن مكانٍ ما، وأنا سوف آخذ مجموعة للهجوم على قصر داغر، أما أبي كان يلازمني وساعدنا كثيرًا في رسم خريطة الحرب بحكم سلطته

محاربًا وحاكمًا ويعلم خريطة وتضاريس البلاد بدقة، وقيس حضر الجنود للحرب وقسمهم إلى مجموعاتٍ، ثمّ أتى إليّ قائلًا:

- تالين، الجنود على أتم استعدادٍ، وسأبلغ تميم رئيس المجموعة، لكي يتجه بالجنود اتجاة الشرق وأنا وأنت سنتجه عن طريق النهر، والمجموعة الثالثة باتجاه الغابة والأخرى طريق الجبل.

- أخبر الجنود بالتحرك الآن يا قيس.

وبالفعل ذهبت أنا والمجموعة الأولى على الضفة الغربية من النهر، والجزء الثاني تقسم للذهاب في الاتجاه الآخر، والمجموعة الثالثة كانت بقيادة تميم وكانوا سيهجمون على القلعة، ونحن كنا خلفهم بالفرس، ودلفنا إلى قلعة داغر لكن لم يتواجد أحد! كانت فارغة ونظرنا في جميع الاتجاهات لكننا لم نعثر على أحدٍ، وتغلغل الشك بداخلي وشعرت ناقوس الخطر يحوّم حوالنا وقلت: يوجد شيء مريب يحدث، وعلى حين غرة اشتعلت نار حاوطتنا جميعًا على شكل دائرة! فأسرعنا بالخيل أنا وتميم وقيس وقفزنا لخارج الدائرة، لكن نصف الجنود النار قد أحرقتهم وخرج جنود داغر من خنادق بداخل القلعة مرة واحدة وهجموا على جنودنا، وأخرجت سيفي من غمده وهجمت عليهم ولم يستطيعوا محاربتي؛ كنت أقتل واحدًا تلو الآخر أمزق قلوبهم وأطير رؤوسهم، وبدؤوا يتجمعون حولي وتحول شكلي وبدأت أصدر صوت عواءٍ عالٍ؛ لكي يعلم باقي القطيع أنها مكيدة ويعرفون بأمرنا، لوهلة اخترق سهمٌ ظهري من الخلف ودلفت لأنظر؛ كانت الصدمة إنه

إلياس الذي طعنني ورمقته بعينٍ دامعة متجمدة غير مدركة فعلتة الدنيئة، ثمّ اقترب إليّ مسرعًا ونظر إليّ بغضبٍ لم أشعر بشيءٍ وفقدت الوعي.

كنت مغيبة لكنّني أحسست بكل شيء يدور معي؛ لقد تحقق كابوسي الذي أهابه من الصغر، لكنّني لم أعتقد أنّ من دق له قلبي ستأتي منه طعنة الغدر، كنت على صهوة الفرس وإلياس يتمسك بي بقوة ويركض بسرعة رهيبة، وينظر إليّ يقول: لقد اقتربنا، لكنّني فقدت الوعي لم أدرك شيئًا إلا على أزيز باب زنزانة يقفل، فتحت عينيّ في رهبةٍ ورأيت نفسي في القلعة التي أسرني بها إلياس من قبل، ماذا يفعل؟! وصحت بصوتٍ عالٍ:

- إلياس.. إلياس، كيف تجرؤ على حبسي سأقتلك بيدي؟

- مثل قتلك لأخي أصحيح؟

- أنا لم أقتل أخاك هو من بدأ وحولني لكائن مثلكم، وقتلته لكي أنجو بحياتي لكن قبيلة الظلام تشبه بعضها البعض تحيك المؤامرات وتقتل بالغدر.

- نحن أم أنتم يا تالين؟ ألم تفكري كيف علمنا أنك ستشنين حربًا علينا؟ امتلكت القوة لكنك ساذجة، كان أبي سيقتلك وجهز كل شيء، واستعان بأناسٍ من قبيلتك لكي يتمكنوا من قتلك، اتفق معهم لكي يقضوا عليك.

- وماذا تريد أنت الآن؟ لمَ لا تتركه يقتلني؟ أم إنك أسرتني هنا لكي تتمكن من قتلي أنت؟

- ستكونين سجينة حتى يهدأ الوضع بالخارج هنا أمان لك.

- إذًا ماذا تريد أنت الآن؟

- لا أريد منك شيئًا، لكن لا أريد أن أفقدك أنت الشيء الوحيد الذي تفضل لي، لا أريد خسارتك أفهمت؟ افتحي عينيك كل شيء خادع؛ إنهم يحيكون مؤامرة ضدك.

- كنت في حالة عارمة من الحزن وقلت:

- أنا أكرهك، أمي توفيت بسبب أبيك، وحياتي أصبحت ظلامًا بسببكم لم أكن أريد أن أصبح هكذا.

اقترب إلياس تجاه الزنزانة، وأمسك يدي من خارج القضبان وتغيرت ملامح وجه إلى الحزن وتجمدت الدموع في مقلة عينه، كان يلوم نفسه أنه سبب تعاستي، بدأ يسرد لي أنه ليس جرمًا فيما حدث وأنه ذنب داغر، لأنهم علموا الآن أنني الموعودة، لا يستطيع أن يواجهه لأنه من تولى تربيته فقط، يعلم جيدًا أن نادين قتلت أباه الحقيقي وهربت، لكنه لا يلومني ولا يريد الانتقام أن يعمي بصيرتي، لكن ما تعجبت لأمره معرفة هويتي من بداية إدراكي بها، إنّه كان يعي ما حدث وسمع ما قالته تالين واعترافها أنّها على قيد الحياة وأنني الأميرة التالية، لكنه تصنع فقدان الوعي والتجاهل لكي لا يخسرني، وعندما قام سديم بتحويلي أحد الجنود رآى ذلك، وأبلغه لكن لم يستطع الوصول لي.. وخلال الهجوم لم يأتِ إلا لإنقاذي من براثنهم، كنت أعلم ذلك فرؤيتي له كان ساعيًا لإنقاذي عند التلة يحاول حمايتي..

ثمّ مرّرت أناملي على وجنتيه ورمقته في عينيه متحدثة إليه: إنني لم أبغضك يا إلياس رغم ما حدث، لأنني أحببتك، لكن أنا الآن أميرة القبيلة ولدي التزامات واجب عليّ تنفيذها من أجل ذلك يجب أن تطلق سراحي..

- لم أغلق الباب أبدًا، تفضلي إنه مفتوح على مصراعيه أنت حرة، لكن احترسي ولا تثقي بأحدٍ، واعلمي أنني معك في كلّ قراراتك.

نظرت إليه في حزنٍ وتركته وركضت بعيدًا، لم أكن أهرب منه لكن إلياس وضح لي شيئًا أريد التأكد منه، وذهبت إلى قبيلتي التي تجمعت حولي عند رؤيتهم لي للاطمئنان، وكان أبي وقيس من ضمنهم واقتربوا مني وقالوا لي:

- أين كنت؟ لقد قلقنا عليك كثيرًا يا تالين.

- أنا بخير يا أبي، لا تقلق أيضاً عليّ يا قيس، لكني ضيعت طريقي بين الجبال، هل القبيلة بخير؟

- بخير، لكن أرجوك لا تتركينا مرة أخرى أنت في خطر.

أومأت برأسي إلى قيس بالموافقة، وتركته وذهبت إلى غرفة الاجتماعات الخاصة بأمي وبحثت في الغرفة بأكملها على أي دليل يوقف الحرب، لكني لم أعثر على شيء وصعدت إلى غرفتها أبحث فيها لكن دون جدوى، ثم نظرت للمرآة التي كانت مائلة تجاه اليسار، واقتربت منها وحركتها بقوة وإذا يسقط منها كتاب قديم لونه أسود! وتصفحت صفحاته البالية وكانت تتحدث عن الأميرة الهجينة أميرة الذئاب وتم قتلها؛ لأنها كانت تشبه حالتي لكن الاختلاف هنا أنّ والدها مصاص دماء، ووالدتها من الذئاب

وكبار القبائل أمروا بقتلها لكي يستخدموها كأضحية للقمر الدموي؛ بسبب الطقوس التي كانوا يتبعونها من قبل كبار السحر الأسود، ولاستمرار أيضًا نسل القبيلتين كانوا دائمًا يقدمون أضحية كل خمسين عامًا؛ لتجديد عهدهم الذي نقضوه ويجب أن تكون الأضحية امتزاجًا من النسلين، قلت: كيف ذلك؟! أنا من أنهي اللعنة يريدون التضحية بي! يذكر التاريخ هنا منذ خمسين عامًا ذلك يدل على أنه اقترب موعد التضحية. إذًا، يوجد أشخاص في القبيلة يريدون قتلي لأكون الضحية التالية! ثمّ رأيتُ في الكتاب خريطة للكهف الذي ذهبت إليه من قبل، لكن به علامة محددة في مكان لم أرَه من قبل عند ذهابي، وأسرعت إلى الخارج وامتطيت الحصان وذهبت إلى الكهف، وعندما دلفت إليه أشعلت النار في العمود الأول أدى إلى إشعال باقي أعمدة الكهف بأكمله، وتعمقت أكثر لكن لا يوجد جديد، ثمّ وضعت يدي على الرسومات، وكنت أتحسسها بأناملي وضغطت على رسمة رأس الذئب وإذا بمغارة تفتح لغرفة سرية أخرى.

صدمت مما يحدث، عندما دلفت بالداخل كان هناك غرفة ليست كبيرة بها تمثال لامرأة متحولة مثلي، ورسمة بجانبها على الحائط لقطيع من الذئاب ومصاصي الدماء ينحنون لها ويقدسونها، وأيضًا رسمة أخرى لحروب وصراعات بينهم والموعودة في المنتصف؛ لتقف الحرب وعثرت على لفائف ورق قديم خاص لقدماء السحرة. إنهم عندما ألقوا اللعنة عليهم كانوا من أجل أن يصبحوا يدًا واحدة ويتحدون وتكون الموعودة هي الزعيمة عن

القبيلتين في سلام، لكن كبار القبيلتين رفضوا ذلك حتى لا ينتشر ويستمر التزاوج بينهم ويُخلق جنسٌ جديدٌ أقوى وينهيهم، وهنا تدخل الطمع والجشع الذي أعمى قلوبهم واتفقوا مع سحرة السحر الأسود أن تكون الموعودة أضحية لهم كل خمسين عامًا.

نادين كانت تعلم ذلك، لماذا تريد الحرب؟! لمَ لا، لأنني من سأنهي اللعنة؟! لم أفهم شيئًا أكاد أجن، ثمّ أتى صوت من خلفي يقول:

- الأمر أمامك يا تالين، التضحية بك؛ أمك لم تقصد، أنت الخلاص، بل كانت تقصد السلام وانتهاء الحرب من خلال حربٍ ستخوضينها، وتنهي السلالة القديمة وتبني سلالة جديدة لكن اللعنة لن تنتهي حتى النهاية.

- قيس، كيف أتيت إلى هنا؟! وماذا تقصد؟

- رأيتك يا تالين، كنت تخرجين مسرعةً، فذهبت خلفك للاطمئنان عليك، وأيضًا نادين كانت تعلم الحقيقة هي وكبار قبيلة الظلام، والتضحية بك يجب أن تتم في سرية تامة؛ لكي لا يعلم بها أحد حتى لا يحدث تمرد بين القبائل ووالدتك كانت تستخدمك لكي تحكم عن طريقك؛ لأنك ستكونين الملكة التي ستحكم القبيلتين، وأيضًا بني الإنس لأنك ابنة الحاكم. أعلمت مدى أهميتك الآن ولم الكل يسعى لقتلك؟

-لا، ماذا تقول؟ نادين لم تفعل ذلك، هي ضحت بنفسها لتنقذني، وكانت تريد الحرب حتى لا يتم التضحية بي.

ثم اقترب قيس إليّ وقال:

- لأنك مهمة بين القبائل، وتركت لك كل شيء من أجل ذلك، ما رأيك أن تتزوجي بي ونحكم أنا وأنت سويًا العالم؟

نظرت لقيس في خوفٍ وأنا أبتعد عنه بضع خطواتٍ للخلف وقلت:

- أنا لا أريد الزواج بك، أعتذر منك، وابتعد الآن لكي أذهب.

- كنت أعلم أنه سيكون هذا جوابك، إذًا تفضل خذها من هنا.

- شكرًا يا صديقي، لقد كنت مصدر عونٍ لي خلال الأيام السابقة.

- من؟ داغر! لا أصدق أنت الخائن! أنت ابن أخ نادين، كانت تثق بك ثقة عمياء! كيف تفعل ذلك وتخونها هي وقبيلتك وتشي بي؟! هل أنت من قلت لداغر على يوم الهجوم؟

- ليس هذا فقط، أنا من قلت له على يوم اجتماعك بأمك عن طريق أحدٍ من أتباعي، وأيضًا أبلغته عن يوم تحولك عند اكتمال القمر الدامي، يا صديقتي، ليس بالدم بل بالسلطة كنت خادمًا لنادين ومساعدها، وتحملت كل هذا على أمل أن أكون الحاكم القادم، وبعد ذلك ماذا فعلت؟ اختارتك وتركتني، وقالت ابنتي سوف تحكم وأنا أين؟! اعتبرتني مثل الخادم لها، وفضلت ابنتها لكي تصنع السلام. حتى والدك الغبي لم تُعلمه شيئًا، ولم تُعلِم أحدًا بميعاد اكتمالك؛ كانت تشك بي في آخر لحظة؛ إذا لم يقتلها داغر لكنت فعلت ذلك.

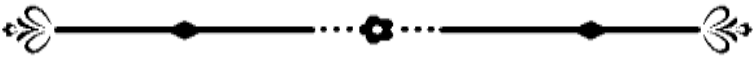

لم أحتمل حديث قيس اللعين، وتحولت عيني للون الأزرق وأخرجت مخالبي وكدت أهجم عليه، وفجأة ظهر جبران! من الخلف، وأخرج جنجرًا ووضعه على عنقه، وتحدث قيس قائلًا:

- أنا أعلم ماذا تنوين فعله يا تالين، أقرأ عقلك؛ تعتقدين أنك أقوى مني لكن أستطيع التغلب عليك، خطوة أخرى وسأقتل أباك الآن، اخرجي خارج الكهف في الحال، داغر أمسك بها.

كنت أشعر بالخوف على جبران، ولم أستطع محاربتهم خوفًا عليه، وعندما دلفنا لخارج الكهف أتى صوت نجاتي وكان هو واستطرد قائلًا:

- ظهرتم أخيرًا، كنت بانتظاركم، تالين أأنت بخير؟ هل سبب لك أحد الأذى؟ وأنت يا قيس، اترك جبران حالًا.

ثمّ اقترب داغر إليه قائلًا:

- أجننت يا إلياس؟! كيف تفعل ذلك أيها الوغد؟ أتخون قبيلتك؟

- أنا لست خائنًا، بل أعيد كل شيء لمساره الصحيح، هل كنت تظن أنني لم أعلم كيف قتل أبي؟ وماذا حدث لأمي؟ والدة تالين لم تكن مذنبة كليًا، بل جزء كبير يقع على عاتقك؛ كنت تعلم ماذا سيحدث وتركت باب الزنزانة مفتوحًا، وأيضًا كنت تقصد ذلك عندما قلت لأبي إنها هي من قتلت أمي لكي يهجم عليها ويقتلها عند رؤيتها، لكن للأسف أبي توفي بسببك وأمي أنت الذي قتلتها عندما اعترضت على حكمك ورفضت

الخضوع لك، لا تنظر ببلاهة هكذا أنا أبحث خلفك منذ سنوات وعرفت كل شيء يا عمي العزيز.

- ولم تعلم أني ربيتك مثل سديم، وأخذتك من أبيك في صغرك، وعرفت الجميع أنك ابني لكي أرفع من شانك أيها الخائن.

- ليس لحمايتي إنما خوفًا أن أعلم حقيقتك المخيفة، وأكون ضدك يومًا ما، أبلغ كلبك قيس أن يترك جبران الآن، أنت تعرف ما مدى قدرتي.

- كنت أنصت لما يقوله إلياس وفي حزن مما أصابه وإنه ضحية، وتفاجأت أكثر من ردة فعل قيس وإصراره على قتلي من أجل السلطة، وكان يردد قائلًا:

- سأقتلك يا تالين، لكي أحكم أنا القبيلة، ولن أسمح بهجينة مثلها بأن تحكم.

-لا، يا قيس، لا أحد يريدك من قبيلتك؛ لأنك خائن.

- من؟ تميم! أنت صديقي، وتقف مع مصاص الدماء ضدي، يومًا ما ستكون نهايتكم على يدي جميعًا.

كان قيس يردد هذا الحديث، ثم ألقى جبران بعيدًا وتحول إلى ذئبٍ وهرب هو وداغر بداخل الغابات، ولم أستطع اللحاق بهم بسبب إصابة جبران وذهبت راكضةً إليه وقلت:

- أنت بخير؟! هيا بنا يا والدي.

وذهبنا إلى القبيلة وإلياس معنا، لكنّهم عندما رأوا إلياس معي تغيرت هيئتهم وكادوا أن يهجموا عليه حتى استوقفتهم وقلت لهم إنه صديق لنا وليس عدوًا، وسيكون عونًا لنا في الملحمة الكبرى، قدموا الاحترام. وبالفعل تناغم أهل القبيلة معه وقص لهم ما حدث من قيس؛ لكي يعلم الجميع حقيقته، وقلت لإلياس أن يضع هو خطط الحرب مع أبي؛ لأنه على دراية أكثر بداغر وقبيلة الظلام، وأنا دلفت بعد ذلك لمنزل تالين مع جبران؛ لكي أستريح وأخطط لداغر وقيس، ودلف جبران إليّ ليتحدث معي ويهدئ من روعي، ثم قال:

- كيف علم إلياس بمكانك وأن قيس خائن؟

ثمّ دخل إلياس قائلًا:

- لأنّني أعلم أنه يوجد خائن قريب من أميرة الذئاب ويضع الخطط معها، وهذا ما اتفقنا عليه أنا وتالين لكي نكشف الحقيقة عندما كانت معي.

فلاش باك:

سأخرج الآن يا إلياس، أنا أعلم حديثك صحيح، ومن أجل ذلك يجب أن أعثر على الحقيقة ومن الخائن في القبيلة؟ وكيف سأكون الموعودة مثلما قالت أمي؟

- احترسي، هذه مكيدة أنا أعلم كل شيء، الموعودة تحكم لكن اللعنة ليس لها نهاية يا تالين، لكي نعلم من الخائن، سأكون خلفك خطوة بخطوة ولن أتركك أبدًا، أما الخائن فسيأتي إليك من تلقاء نفسه.

- وهذا ما حدث يا أبي، وكان حديث إلياس صحيحًا.

ثمّ تحدث جبران قائلًا:

- الآن قيس وداغر اجتمعا ولن يتركانا بسهولة، ولاشين أيضًا معهم، القبيلة قالت إنه هرب وانضم لهم، ماذا سنفعل؟

- الحرب ولا يوجد شيء آخر سواها مثلما قالت النبوءة يا أبي، الملحمة وسأقودها أنا وإلياس وستتوحد المملكة.

- أنا أيضًا جمعت أناسًا من قبيلة الظلام، واتفقت معهم لكي ينضموا معنا في الملحمة الكبرى.

ثمّ تدخل تميم في الحديث قائلًا:

- أميرتي، لقد تحدثت مع القبيلة بكل ما يدور وبعضهم معك والآخرون في تردد، هناك آخرون تركوا القبيلة بالفعل ورفضوا المكوث معنا وخوض الحرب.

- سوف أخرج وأتكلم معهم، هيا بنا يـا تميم.

وبالفعل دلفت للخارج، وكانت القبيلة في حالة من التذمر والقلق، وقلت لهم:

- أنا تالين، أميرة الذئاب حاليًا وأنتمي لمصاصي الدماء أيضًا، نعم أنا هجينة أصبت باللعنة ومن لا يعرف عن اللعنة سأقول له: أنا الموعودة التي سأحرر البلاد من الحروب والعداوة والدمار بين القبيلتين، ستتوحد القبائل على يدي وسيعم السلام وسنعيش سويًا في رخاء، ومن أجل ذلك يجب أن تقام

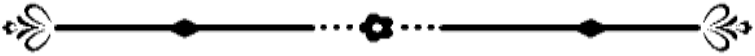

ملحمة ضدّ من يرفض ذلك ويريد العداوة؛ فـالحرب بيننا، لقد جمعتكم اليوم من أجل ذلك، يوجد بيننا بعض من قبيلة الظلام التي أصبحت حليفة لنا، وسنتخذ عهدًا أبديًا معًا بسلام، الآن من سيخوض الحرب معي في الملحمة الكبرى؟ ومن سيكون ضدي؟

ثمّ صاحت القبائل بصوتٍ واحدٍ عالٍ جلجل الجزيرة:

- نعم، سنكون مع ملكتنا إلى الأبد، سنؤيد العهد.

كنت سعيدة بردة فعل الجيوش وأننا أخيرًا سنتوحد سويًا، ودلفت إلى الداخل لأبلغ أبي فإذا بتميم يأتي خلفي مسرعًا ويتحدث بنفسٍ متقطعٍ:

- مولاتي، لقد أتت رسالة من جواسيس لنا، إن داغر وقيس يخططان للهجوم علينا.

- إذًا سنستعد ونخطط للحرب يا تميم، استجمع كلّ الجيوش من مصاصي الدماء والذئاب، وسأحدد أنا وإلياس خطة جديدة، لكن أريدك أن تبلغ الجواسيس أن ينشروا إشاعة اشتقاق القطيع من الوادي، وأنّهم تركونا وذهبوا، وأيضًا انقلاب جنود إلياس عليه.

- لمَ كل هذا يامولاتي؟

-أريدهم أن يشعروا بالاطمئنان؛ لكي أستطيع أن أضرب ضربتي لهم.

ثمّ يدخل إلياس على حديثي ويقول:

-أنت محاربة بالفعل يا تالين، أنا حقًا فخور بك لقد خلقت من أجل ذلك، أنت الموعودة وسننتصر على الأعداء؛ لأنك من ستقود الحرب.

رمقته منفرجة الأسارير وقلت له:

- سننتصر لأننا سويًا يا إلياس وسنظفر بالحرب.

ثمّ اقترب قائلًا:

- أعرف كيف يفكر داغر يا تالين، الآن إنه يضع خطة بديلة لكل شيء؛ لذا احترسي ولا تعلمي أحد من الجنود تحركاتنا للحظة الآخيرة؛ لكي لا يكن بينهم جاسوس وينقل الأخبار له.

....

وفي صباح يوم الملحمة، اجتمعت مع تميم والجنود ورسم إلياس الحدود والتضاريس للبلاد والمخارج والمداخل، وحددنا أنني من سأقود قطيع الذئاب وإلياس سيقود جنوده مصاصي الدماء، وسنتقابل عند القلعة الخاصة بداغر، وأنني سأسلك طريق الغابة، وإلياس سيسلك الطريق الرئيس.

وفعلًا تحركت مع القطيع، وذهبنا بداخل الغابة وكانت الأجواء هادئة وتعمقت أكثر، وغفله ظهرت مجموعة من قطيع الذئاب أتباع قيس وكادوا أن يهجموا عليّ، وتذكرت حديث أمي أنني لديّ قوى السيطرة على الذئاب بدون قتلهم، واستغللت ذلك ونظرت لهم بشدة وتصبّغ بؤبؤ عيني للون أزرق، فتم خضعوهم لي وتحولوا لشكلهم البشري، وعندما رأوا هيئتهم كيف أصبحت لم يستطيعوا التحول ففروا هاربين! والذئاب أتباعي خلفهم، ثمّ ظهر ذئب آخر أتى من خلفي وقفزت عليه من الفرس، فـأخرجت سيفي

من غمده واقتلعت رأسه به، وتمكنت من السيطرة على المنطقة الشمالية، ثمّ أتت لي رؤية لإلياس وهو يذهب بالاتجاه الآخر؛ للهجوم على قلعة داغر، الذي كان يقف بالجنود وأخذوا يحاوطون جنود إلياس، ونظر له داغر، ثمّ التفت لجنوده قائلًا:

- إنّه خائن، ابن قبيلتنا تحالف مع قبيلة راجدان ضدنا من أجل الهجينة التي ستدمر القبائل. اهجموا على الخائن.

أسرع داغر ركضًا وطعن إلياس بالسيف، وأنا كنت أرى ذلك ووضعت يدي على قلبي خوفًا، وصحت بأعلى صوتي: إلياس... لاااا. ثم التفت الجنود إليّ في رهبة لا يعلمون لمَ أفعل ذلك؟ وماذا يحدث معي؟ لكني لم أعلم أحدًا ما يدور معي، ثمّ رأيت إلياس يخرج السيف من جسده وطعن به داغر، لكن جنود داغر التفوا حوله وأشعلوا نارًا بها زيت على هيئة دائرة، وكان داغر يقف ويضحك ويقول:

- نهايتك هنا يا ابن أخي.

كنت خائفة على إلياس؛ فأنا لم أستطع الوصول إليه، أنا في الشمال وهو في الغرب والجنود معي، ولم أستطع التحرك ووقفت ثابتة، ووضعت يدي على قلبي أدعو ربي وأغمضت عيني، تدارك إلياس الأمر؛ وأسرع ركضًا حول النار بقوة هائلة وبسرعات دائرية متتالية حتى أُطفئت النار، ثمّ اتجه إليه وعيناه يصبغهما اللون الأحمر وأنياب مدببة ومخالبه الطويلة، وقال له:

- ألم تعرف مدى قوتي بعد؟

ثمّ هجم على أعوان داغر، وأخرج قلوبهم من أجسادهم وشق بالسيف الآخرين حتى أتى دور داغر.

وعلى حين غرة سمعت صوت عواءٍ عالٍ يحيطني أدى إلى قطع تواصلي مع إلياس، ورمقت حولي لم أرى الجنود وبدؤوا يختفون واحدًا تلو الآخر في سرعات متتالية، قلت:

- قيس يعلم مدى قوتي وكيف أضع الخطط ويخفي نفسه هو وأعوانه؛ لكي لا أسيطر عليهم.

ثم بدأت الأصوات تعلو وأنا أبحث يمينًا ويسارًا ولا أرى شيئًا، وجنودي لا أثر لهم، ثمّ اختفى الصوت وجنودي أيضًا، وأصبحت بمفردي في الغابة، استجمعت قواي وركزت، ورأيت على مسافة بعيدة مصدر الصوت وكان ذئبًا يقف خلف تلة عالية، يهاب الظهور أمامي لكي لا أسيطر عليه، ركضت إليه مسرعة وأطحت عنقه والآخر كان في أعلى الشجرة؛ فأخرجت حوافري وتسلقت الشجرة وأخرجت سيفي وقسمته نصفين، واستطعت أن أعثر على الباقي والسيطرة عليهم حتى خروا فاقدين الوعي، وذهبت خلف التلة الكبيرة أبحث عن جنودي فكان معظمهم قتلى والآخرين فاقدين للوعي!

ثمّ أحاط بي ضباب كثيف انتشر في الغابة أخفى ملامحها، فابتعدت بضع خطواتٍ وكان الضباب ينتشر بسرعة مخيفةٍ، وبدأت أرى ظلًا يتقدم نحوي من بعيد، وبدأ يقترب حتى اتضحت ملامحه أنه قيس يخرج من الضباب،

وكان شكله مختلفًا تمامًا؛ يا ويلي لا أصدق لقد حول نفسه لمصاص دماء؛ لكي لا أستطيع السيطرة عليه، ثم قال:

- تفاجأت؟! صحيح، ألم تعلمي إلي أي مدى سأصل للقضاء عليك وتدميرك يا تالين، أنا الحاكم الشرعي الوحيد ليس أنت، وداغر ساعدني بهذا الأمر لكي أنهيك.

- لم أعلم أنك ستصل لهذه الدرجة من الانحطاط، إذًا موتك على يدي.

وأسرعت إليه ووجهت له لكمة قوية، ثمّ ركلني بقدمه على الأرض، وتحركت إليه وأمسكته وألقيته على شجرة، ثمّ أقدم إليّ بسرعة مهولة ورفع السيف وطعنني به، وقعت على الأرض والدم ينزف من جسدي، ثمّ اقترب اتجاهي وانتشل السيف وأخرجه من جسدي وقال:

- هذه نهايتك يا أميرتي.

وكان يوجه السيف إلى عنقي ليطيح بها، ثمّ ظهر تميم وأردف إليه:

- لن أتركك تقتل أميرتي.

ثمّ أخرج تميم السيف من غمده وطعن قيس به، لكن مصاصي الدماء جرحهم يشفى سريعًا، وقيس كان هجينًا فأصبح أقوى من ذي قبل، واقترب تجاه تميم وأصدر ضحكاتٍ شيطانية وقال:

- ستظل غبيًا يا صديقي، ألم تعرف مقدار قوتي بعد؟

وفجأة أخرج قيس مخالبه واقتلع قلب تميم من جسده! فصرخت صرخة مدوية قلت:

- لاااا، تميم. أيها الخائن، سأقتلك بيدي.

- لن أمت بل ستموتين أنت يا أميرتي الصغيرة، لا أعلم أنك ضعيفة هكذا.

وأخذ يصدر ضحكة سخرية.

-لا تظن أنك انتصرت، أنا لست ضعيفة كما تظن موتك سيكون على يدي.

كان ينظر ويستمر في الضحك، ثم تحركت مسرعةً إليه واقتربت من هذا اللعين، الذي كان يقف متباهيًا بقوته والسيف مخترق جسده، وأخرجت السيف منه وتحركت بسرعة دائرية متتالية وأطحت عنقة، وقلت:

- من الأقوى الآن؟

كنت أنظر إلى تميم بحزنٍ، ثم تذكرت إلياس وذهبت ركضًا إليه بسرعة مهولة، عندما وصلت كان يقف أمام داغر يقول له:

- حان دورك يا أبي العزيز، لم أكن أتصور أنه من أجل المنصب ستفعل فعلتك الدنيئة.

- لا تنسَ، أنا الذي ربيتك مثل ابني.

كان الخائن داغر يستعطف إلياس، لكن الخيانة تسري في دمه؛ وأثناء حديث إلياس إليه كان يخرج خنجره الفضي من خلفه ليطعن به إلياس، ثم صحت بصوتٍ عالٍ وقلت:

- احترس معه خنجر.

ثمّ انتبه إلياس إليه وأخرج سيفه وقسمه إلى نصفين وقال:

- هذا جزاؤك أيها الخائن، وثأر أمي التي قتلتها.

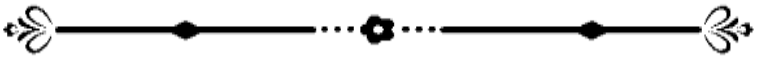

(8) المواجهة الصادمة

وانتصرنا في ملحمة الدم كما أطلق عليها بسبب الدماء التي انتشرت في أرجاء البلاد، وأخيرًا تمكنا من السيطرة على القبيلتين، واستطعنا أنا وإلياس توحيد القبائل والعيش في سلام.

لم أكن أعتقد أنني سأخوض ملحمة مثل هذه وأنهي الحرب الأزلية بين قبائل قوى الظلام، لكنهم الآن أصبحوا يعيشون في سلامٍ بعيدًا عن أعين البشر، واتخذوا قلعة الظلام مكان العيش للقبيلتين.

أما عن جبران، فأصبح الحاكم على مملكة بني البشر، وأمر بنفي لاشين مرة أخرى مع حراسة مشددة، وغطى أبي أي خبر يتسرب عن تواجد مصاصي الدماء والذئاب في البلاد، وأصبحوا يعيشون في سرية تامة.

أما أنا سهوت عن حقيقتي كسيرين وأصبحت تالين التي يعشقها إلياس، وتم تحديد موعد زواجنا. نعم، من أجله تركت كل شيء وأصبحت تالين الهجينة، كنت في سعادة عارمة؛ لأنني سأبقى معه إلى الأبد.

كنت أتواجد في غرفتي وأحضر نفسي لمراسم الزفاف، وكان إلياس ينتظرني بالخارج من أجل الانتهاء، ونظرت في المرآة بزيي الملكي المرصع بالألماس وتاجي الذي يزين غرتي، في سعادة عارمة لا أصدق أنني سأتزوج بحبي الأول والأخير.

وعلى حين غرة رأيت تالين بداخل المرآة تنظر إليّ بحدةٍ وغضب، خرجت من المرآة وأصبحت أمامي ترمقني بنظرات حادة، وتقول:

- لقد سرقت حياتي وحبّي، أنت كنت شاهدة ولست بطلة الحدث يا خائنة.

تحدثت بتلعثم ورهبة، إنّني لم أقصد ذلك يا تالين وأنتِ هربتِ وتركتني؟ لكنني لم أكمل حديثي، وأخرجت خنجرًا وطعنتني في قلبي حتى خارت قواي، ووقعت على الأرض وامتزج ردائي الأبيض باللون الأحمر من غزارة الدماء!

دلف إلياس إلى الغرفة وصاح بصوتٍ عالٍ واقترب إليّ واحتضنني وقال:

- تالين، لاااا.... أفيقي، لا تموتي ماذا حدث لك؟

ثمّ قلت له في وهنٍ:

- سيرين ليست تالين، تذكر اسمي جيدًا، واعلم أنني لم أعشق سواك يا إلياس، الوداع يا حبي الأبدي.

....

لم يكتمل حبّي وحلمي للنهاية؛ هل لأني لم أنتمِ لهذه الحقبة الزمنية؟ أم لأنني لستُ هي؟ لكن ما أحسست به تجاه إلياس كان صادقًا، كان حلمًا لا أريده أن ينتهي.

كنت أسمع أصواتًا متداخلة بجانبي وأنا شبه فاقدة الوعي وصراخ عالٍ يقول:

- سوف نفقد المريضة، تحتاج لنقل دم ضروري.

ثمّ سمعت صوتًا يقترب من أذني يقول:

- سيرين، أفيقي لن أفقدك مرة أخرى يا حبيبتي.

كنت قد سمعت هذا الصوت من قبل، لكن شعرت بثقلٍ شديدٍ في جسدي وفقدت الوعي كليًا.

وعندما أفقت كنت في غرفة صغيرة، يوجد جهاز تنفس على فمي وأنابيب متصلة بجسدي قمت بإزالته، رأيت طارق يغفو على مقعد بجانبي قلت:

- ماذا يحدث؟! أين أنا؟! وأين إلياس؟! وهل تالين قتلتني بالفعل؟ لمَ أرسلتني إلى عالمها؟ ماذا كانت تريد أن تثبت بقرارها؟!

استفاق طارق على حديثي واقترب إليّ في فزع قائلاً:

- سيرين، نحن في المشفى الآن، ماذا أصابك؟ هل أنت بخير يا حبيبتي؟ ما هذه التخاريف التي تتحدثين عنها؟! ولم قفزتِ من القطار؟! ماذا دهاك أجننتِ؟! هل تريدين الانتحار؟ نحمد الله أنك قفزت على أرض زراعية وأناس رأوكِ وتهاتفت مع المسعفين.

- ماذا تقول يا طارق؟! أنا لم أقفز من القطار، بل قفزت لعالم وزمن آخر!

- سيرين، أنت لم تشفي بعد، السقطة أصابت رأسك بماذا تهذين أنت؟ هل القصة التي تبحثين عنها أثرت على عقلك؟

- لا، أنا متأكدة مما رأيت يا طارق، أريد الخروج من المشفى الآن.

- أنت مريضة لم تشفي بعد أجننت؟

- نعم، جننت.

وفتحت باب الغرفة وخرجت للخارج، وطارق كان خلفي يحاول أن يوقفني وخرجت من المشفى لكي أذهب إلى بيتي، وعند ذهابي رأيت أدهم في سيارته من الجهة الأخرى للطريق المخالف ينظر إليّ ويبتسم في خبثٍ، وعندما رآني هرب بسيارته بعيدًا، صحت وقلت:

- انتظر يا جبان.

وأسرعت خلفه، لكن أتى طارق وأمسك يدي وقال:

- انظري بجانبك يا مجنونة، كادت السيارة أن تدهسك.

- إنه أدهم، كان هنا بجانب المشفى هو يعلم كل شيء؟ قد يكون له يد في كل ما يحدث معي.

-لا، هو مجرد مجرم يستغلك من أجل مصالحه وتهريب الشحنة، وقريبًا سيتم القبض عليه؛ لقد أتيت بالدليل الذي يدينه، هيا بنا الآن لكي أوصلك إلى منزلك، أنت تحتاجين للراحة.

ودلفنا إلى السيارة سويًا وفي الطريق قلت لطارق:

- هل كنت معي في العناية وتحدثت إليّ؟

- نعم، أنا لم أتركك لحظة واحدة يا حبيبتي، لكني أريدك ألا تعرضي نفسك للخطر مرة أخرى.

ولم أكمل حديثي وتأتي سيارة مسرعة تقوم بالاصطدام بنا من الخلف لتنقلب بنا، ويفقد طارق الوعي وأنا بجانبه كنت أحاول الخروج من نافذة،

ثمّ رأيت أقدامًا تأتي إليّ ويدًا تمتد لتسحبني للخارج وتغطي وجهي بعصبة ويحملونني ويضعوني في سيارة أخرى! كنت أصيح خلال الطريق وأقول:

- من أنتم؟ أين طارق؟ طاااارق!

وبعد مسافة ليست ببعيدة، توقفت السيارة وأخرجوني منها، وتم حملي من قبل شخص مجهول ليدلف بي إلى منزلٍ، شعرت بكل ذلك وقلت:

- من أنت؟ اتركني حالًا أين أنا؟

ألقى بي على مقعد متحرك وخلع العصبة من عيني، وكان هو أدهم السنهوري وينظر لي في خبثٍ وقال:

- مرحبًا بك في منزلي المتواضع، سمعت أنك قد أصابك حادث، أم حاولت الانتحار. لمَ فعلت ذلك يا سيرين؟ ماذا تعرفين عن الملكة تالين؟

- لا أعلم، ولم أحاول الانتحار؟ لكن أنت لمَ تتاجر في الدم لمصلحة من تعمل؟!

-إذا لم تتكلمي أنا أيضًا لن أجيب على أسئلتك.

-أنا لم أقابل الملكة ولا أعلم إذا كانت على قيد الحياة أم لا؟ لكن أعلم تفاصيل طفيفة عن حياتها السابقة.

- وما هي هذه التفاصيل؟ والملك الخالد هل تعرفين أين هو؟

- إلياس! هل هو على قيد الحياة؟! أين هو؟

- أنا الذي أسأل ليس أنت، من أين تعرفين اسمه وهو مجهول الهوية لا أحد يعلم عنه شيئًا؟!

ثمّ اقترب إليّ بوجهٍ غاضب، وعيناه تحولتا للون الأحمر، وظهرت أنيابه المدببة وقال:

- تكلمي كيف علمت به؟ أين هو؟

ثمّ مرّ على مسامعي صوت عيار ناري وصراخ بالخارج، واتجه برأسه إليّ قائلًا:

- لقد وصل صديقك المجنون ستكون نهايته هنا.

قلت:

- طارق! ماذا يفعل هنا؟ سيقتل هو لن يستطيع محاربتهم.

وفجأة كسر باب الغرفة، وكان غريب الشكل يظهر بأعين حمراء وأسنان مدببة ومخالب طويلة، ويقول:

- هذه نهايتك أنت أيها الضعيف!

نظرت له وقلت:

- أيعقل؟! أنت إلياس يا طارق؟! كنت بجانبي ولم أعلم! ومن أنت يا أدهم؟ هل أنت من الزمن القديم؟ أم أنك تحولت حديثًا؟ وأين تالين؟

وفجأة شعرت بسكينٍ يغزو منكبيّ من الخلف، وشيء يسحبني للخارج إلى غرفة مظلمة، ونظرت إذ تالين تقف أمامي وتقول:

- ألم تتعلمي الدرس بعد؟! افتحي عينيك يا حمقاء.

ثمّ قامت بالهجوم عليّ وامتصاص دمي ودفعتني بعيدًا! كنت أمسك عنقي خائفة وقالت:

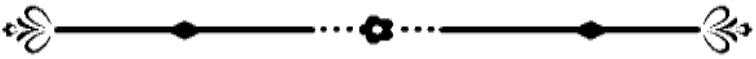

- انظري إلى حقيقتك.

وإذا بمرآة أمامي تريني ماذا حدث في يوم زفافي على إلياس، كان سديم معي في الغرفة! نعم، وأنا لم أره؛ لقد ظهر في المرآة خلفي وعندما دلفت إليه طعنني بخنجر في قلبي، وقال:

- لن تكوني له، وستكون نهايتك على يدي، ستغفلين إلى الأبد، ولن يعلم أحد أنك على قيد الحياة، سأوهم الجميع بأنك قتلت وسيختفي جثمانك للأبد يا قطتي الباكية، ولن تفيقي إلا بأمري.

لم أفهم ماذا يعني ذلك؟! هل سديم على قيد الحياة؟ هل أنت حقيقية؟ هل كنت في غفوة وأفقت طيلة هذا الوقت؟

وترد تالين قائلة:

- أفقت منذ عشرة أعوام، ولم أتذكر من أنا؛ لأني نصف مستذئبة استطاعت العيش بدون دماء، وعندما أفقت كنت فاقدة للذاكرة والهوية؛ بسبب سديم الذي أعطى لها عشبًا يمحو ذاكرتي.

- ماذا تقصدين؟ ومن أنت؟ لا تنظري إليّ هكذا، أنا لست أنت، صحيح أنا لست هجينة أنا إنسانة وتربيت في ملجأ للأيتام صحيح.

- لا هكذا تصورت لك الأحداث أو سديم أراد أن تعتقدي هكذا. أتعلمين أين هو ملجأ الأيتام؟ أنت خلال هذه الفترة كنت تحاربين نفسك ولا تتذكرين، وعندما رأيت ذئبًا في بيتك كان أنت! كنت تتذكرين ماضيك بصعوبة، ولا تميزين بين الواقع والخيال يا تالين؟!

- كيف ذلك؟ وأنا أراك أمامي وتتحدثين معي وأيضًا ذهبت معك عبر الزمن؟

- تذكري ماذا حدث لموهبتك في التواصل، ومعرفة ماذا يحدث، ورؤية الأحداث؟ أنا مجرد ذكرى وأنت تسترجعينها؛ عندما ظهرت لك كانت ذاكرتك التي تدلك على الأحداث، وقفزك من القطار حقيقي، وإصابتك لم تذهبي للماضي كما تصورت، بل الذاكرة عادت إليك مرة أخرى، لكن يوجد أحد لا يريدك أن تتذكري ويعطي لك الأعشاب؛ لكي لا تظهر قوتك، لكن أنت أقوى من ذلك يا تالين، اليوم ستتحولين إن القمر اقترب على الاكتمال، وستستعيدين ذاكرتك بأكملها وأنا لم أمتص دمك، بل أرجع قوتك الحقيقية واعلمي أيضًا حقيقة من حولك، الوداع يا تالين.

كنت في حالة من اللا وعي، وقلت:

- ماذا يحدث معي؟ من أنا؟ لست تالين صحيح؟! من أنا؟ من أناااا؟ وبصرخة مدوية ومع اكتمال القمر أطلقت صوت زئير عالٍ، وأخرجت مخالب يدي، وأسناني أصبحت مدببة، وعيناي تحولتا للون الأزرق، وشعري تحول للون الناري وانسدل على ظهري! وقلت بنبرة غضبٍ:

- لن أتركك يا سديم، نهايتك على يدي.

ودلفت مرة أخرى لهم أكسر كل شيء أمامي في غضب، وكان أدهم وطارق يتعاركان، وكاد يقتل أدهم طارق! ودلفت إليهما بهيئتي وكانا ينظران إليّ في حالة من البلاهة، ويقولان:

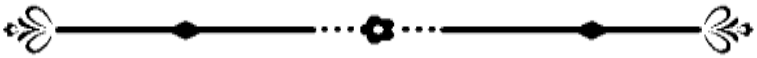

- تالين! كيف عدت؟!

ثمّ اقتربت منهما وأصبت أدهم بمخالبي ودفعته بعيدًا، وأمسكت طارق وقلت له:

- لمَ لمْ تقل أنك إلياس؟! كنت تحميني كل هذه الفترة لن أسامح نفسي أبدًا!

- لم أرد أن تتذكري ماضيك وعالم الظلام الذي أتيت منه، وأخفيت هويتك الحقيقة يا حبيبتي لصالحك، هيا بنا من هنا قبل أن يستفيق أدهم ويأتي أتباعه خلفنا؛ يجب ألا يعلم أحد أن تالين على قيد الحياة لكي لا يحاولوا قتلك.

وبالفعل خرجنا إلى الخارج مسرعين، كنت أسند طارق إلى السيارة، وقال:

- لم أتصور أن قطتي الباكية ستنقذ حياتي يومًا ما، يجب أن نغير هويتنا وأسماءنا ونهرب خارج البلاد؛ لكي لا يتبع أحد أثرنا.

- مثلما تريد يا حبيب العمر.

وفجأة تلقينا ضربة مبرحة فقدنا على إثرها الوعي! وعندما أفقنا كنا في غرفة، وأنا وطارق موثوقي الأيدي، ثمّ نظر إليّ قال:

- ماذا يحدث هنا؟ هل أنت بخير يا حبيبتي؟

ثمّ صاح قائلًا:

- من بالخارج؟

- لم أستطع التحول يا تالين؟ قوتي ضعفت! ماذا أعطوني هؤلاء الذين بالخارج؟

- لقد أعطوا لك مسحوق القرنفل بالثوم يا طارق.

- كيف علمت ذلك يا تالين؟

- لأنني من أعطيتها لك ليس هم.

وتحركت من جلستي، وأزلت وثاقي وفتحت الباب ودلف أدهم للداخل، ونظرت إليه بحب وقلت:

- لقد اشتقت لك يا إلياس، سامحني لعدم معرفتك من البداية، كنت تحاول حمايتي لكن بسبب جهلي صدقت هذا الخائن سديم، الذي كان يقترب إليّ ليعطي لي جرعات من الأعشاب؛ لأفقد قوتي. صحيح يا قطتي الباكية، غبي سديم سهوت أنك كنت دائمًا تناديني بها وعند قتلي أيضًا!

قهقه سديم في سخرية قائلاً:

لم أعتقد أنك ستتذكرين كل شيء بهذه السهولة، وتستطيعين تمييز إلياس رغم تغير هيئتنا كل مائة عام بسبب السحر الذي ألقاه على قبيلة الظلام، لكن أنت هجينة لم يتغير شيء بك؛ هيئتك، وصوتك، وقوتك، وشخصيتك العنيدة، لكن إذا كنت أريد قتلك كنت أصبحت جثة هامدة الآن، لكن أنا أحببتك أيضًا وأردت أن أحتفظ بك لنفسي!

وفجأة بلكمة قوية يوجهها إلياس لسديم أو أدهم لطارق قائلًا:

- لا تذكر اسمها على لسانك أيها الحقير، أنت فعلت ذلك لتنتقم مني وحرمتني من حب عمري وحبيبتي يوم زفافنا، أردت أن تنتقم بسبب موت أبيك وتحسرني على محبوبتي. كنت كل فترة تبعث لي رسولًا يقول إنّ تالين

على قيد الحياة، وتنتظرني في بلدة ما آلاف السنوات، وأنا أبحث عنها على أمل لقائها وأنت تضحك وترى حسرتي، كنت تريد الانتقام وعندما رأيت سيرين تشبه تالين أحببتها كنت أراقبها من بعيد.

ثمّ اقترب أدهم نحوي وأمسك يدي قائلًا:

- أنا من كنت أمدك يا تالين بمعلومات عن ملكة آشور من أجل روايتك، وبعثت لك بفكرة الملكة الخالدة لكي تبحثي عن حقيقتك؛ لأتأكد من هويتك الحقيقة. لكن سديم كان يدس لك العشبة كل حين لتسهو عن حقيقتك؛ كان يحاول أن يثبت لي أنك إنسية لا تنتمي إلينا، لكني كنت أراقبك من بعيد وعند سقوطك من القطار كنت أنت يا حقير من دفعها للخارج لتتخلص منها! لقد رأيتك لأنني كنت أراقبها وذهبت خلفها وأرسلتها للمشفى، وكنت بجوارها حتى أتيت أنت لكن حدث شيء أعطى الأمل بداخلي، عندما قالت اسمي الحقيقي وهي فاقدة الوعي "إلياس أحبك" تأكدت خلالها أنها تالين حبي الأبدي.

- هل من أجل ذلك اختطفتني لكي تذكريني بحقيقتي؟

- نعم، الغرفة التي كنت بداخلها تشبه غرفتك، وأيضًا السكين الذي غرزت هي عبارة عن حقنة بها دمائي لكي تتذكري، لكن أنت علمت من أنا عندما سألتك عن إلياس!

- نعم، يا حبي الأبدي، سامحني لدفعي لك بعيدًا، لكن خوفي عليك من أن يقتلك، كنت أريد خروجه من المنزل وإبعاده، كنت أدعي البلاهة معه لكي يكفر عن ذنبه أو يقول من هو، لكنه استمر في فعلته وكذبه وهروبه.

ثمّ ردف طارق قائلاً:

- أصفق لذكائك، الآن أصبحت تتذكرين كل شيء، هل سهوت أنني سبب تحولك، كنت تريدين قتلي، لكن أبي أبعدني واتفق مع السحرة لعلاجي وكان الثمن موتك، لكن لم يعجبني هذا العقد؛ فقررت خداع الجميع والانتقام من إلياس وتعذيبه، كنت أرعاك خلال آلاف السنوات، وأحببتك بالفعل لكن رأيتك تترددين على إلياس وتبحثين في الماضي ولا تريني رغم اعترافي لك بحبي لمرات عديدة، وفي كل مرة أقابل نفس الرد، كنت كل مرة أمحو ذاكرتك وأبدأ من جديد لكن دون جدوى! وعندما أحسست أنك تتذكرين وتبحثين في الماضي حاولت قتلك؛ لكي لا تكوني لهذا الغبي الذي لم يعلم أنني سديم إلا عندما ذهبت إلى مكتبه وتشاجر معي وظهرت عين الحقيقة، لا تعتقدان أنكما انتصرتما عليّ بهذه الفعلة ستقتلان على يدي ولن أرحمكما أبدًا.

وفجأة أخرج إلياس سكينًا وأسرع إلى سديم وطعنه في قلبه، ثمّ أقدمت عليه قائلةً:

- إنها نهايتك أنت.

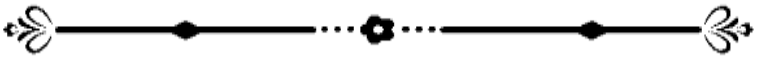

حقنته بمسحوق القرنفل وقلت له:

- سيتجرع من الكأس الذي سقيتني منه، والآن اغف إلى الأبد.

....

وبعد عام، كان موعد زفافي أنا وإلياس الذي تم أخيرًا في أبهى صورة من غير قتل أو مشاحنات تعوقه، كانت أسعد لحظات حياتي التي قضيناها سويًا.

فقرر بعد ذلك أن نختفي عن أعين البشر، ويوقف جميع أعماله استيراد دماء الحيوانات لكي لا يتم إيذاء البشر من قبل مصاصي الدماء الذين يعيشون بيننا بهويات مجهولة، واختفينا نهائيًا لكي نتمكن من العيش في سلام....

لقد فقدت الكثير خلال رحلتي كما قالت النبوءة: إنّ الملكة يجب أن تخسر حتى تتمكن من الفوز، وأنا خسرت عائلتي وحياتي أيضًا، لكني ربحت إلياس حبي الأبدي والحقيقي وإنني أخيرًا استعدت حياتي بتواجدي معه.

وأصبحنا نتنقل إلى بلاد العالم في سعادة لكن بأسماء مختلفة وشخصيات وهمية؛ لكي لا يتمكن البشر من معرفتنا فنحن الخالدان بين عالم النسيان نحيا كل يوم في المجهول لنمحو أخطاء ماضٍ ملعون مظلم نخشى أن يظهر فجأة ويعكر صفو حياتنا لكننا ظفرنا أخيرًا بحرب الخير والشر والالتقاء مرة أخرى، فهذا قدرنا فالحب لا يموت حتى إذا مات الجسد....

نبذة عن الكاتبة

حاصلة على بكالوريوس في إدارة الأعمال، وتمهيدي ماجستير علوم سياسية.

عملت في الصحافة بالنشر في جريدة ورقية وبعض المواقع الإلكترونية، ثم أنشأت مدونة لنشر قصصي عليها، وكتبت عددًا لا بأس به من القصص والمقالات، التي نشرت لي في مواقع عديدة، ثم أنشأت يوتيوب لعرض القصص بصوتها وتأليفها، ثم انتقلت للعمل الورقي.

فكان أول عمل لها بعنوان (السلسال الملعون) وهو من أدب الرعب التشويقي الاجتماعي عام **2022** ثمّ توالت الأعمال

ثمّ انتقلت لعملها الثاني وهي رواية بعنوان خلقنا للظلام، ثمّ الثالث رواية (آشماداي) وهي من أدب الرعب التشويقي البوليسي، ثمّ أقدمت على تصميم أغلفة الكتب والإعلانات ولها أعمال ورقية من تصميمها ستطرح في معرض الكتاب **2025**

فكانت الرواية الرابعة وهي (ديجافو) التي حصلت فيها على المركز الأول في مسابقة مهرجان همسة الدولي ..**2025**

ثمّ حسن الختام رواية (عشتار) وكان تصميم الغلاف من تصميمها...

للتواصل مع الدار

التعاقدات

المعارض

الصفحة الرسمية

مسابقات

طلب إصدارات

الإعداد

التوزيع